

روايات مصرجة للجنة



60

المتحف الأسود

ما وراء الطبيعة

Looloo

www.dvd4arab.com

و. محمد خال الزنوفية

عبد خالص

مقدمة المقدمة

لمن لم يلاحظوا أن هذه حلقة رعب .. أقولها بصراحة
ووضوح وصدق : هذه حلقة رعب ..

ولمن يتساءلون عن معنى (المتحف الأسود) أقول
بصراحة ووضوح وصدق : هناك متحف فى هذه القصة ..
ويبدو أنه أسود ..

ولمن لا يعرفون أننى (رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض
الدم العسن ، أؤكد هذا بلا تردد ..

قدمت لكم عددًا من حلقات الرعب من قبل .. ذات مرة
جلسنا فى الإسكندرية عاجزين عن العودة إلى القاهرة ،
وراح كل منا يحكى عن خبراته مع طراز معين من
الرعب .. فى مرة جربنا طالعنا مع أوراق التاروت ، وكانت
نبوءاته كلها مما تتقصد له الأحشاء .. فى حلقة رعب
أخرى قمت بإذاعة بضع حلقات من برنامج (بعد منتصف
الليل) الذى يحكى فيه المستمعون عن خبراتهم المخيفة ..
ثمة حلقة تحدث فيها كل منا عن خبرته مع باب مغلق يكمن
وراءه ما يخيف .. وآخر حلقاتنا كانت مع جانب النجوم ،
حيث تنتظر المسوخ كى تحكم علينا .. أينما الأكثر شرًا ..

إنه ذلك الأسلوب الذى أحكى فيه قصصاً قصيرة كحبات
فى عقد قصة أكبر تربط بينها جميعاً .. ولعل لقيم المحاولات فى
هذا الصدد كانت (ألف ليلة وليلة) وقصص (الديكاميرون
Decamerone) للإيطالى (بوكاتشيو Boccaccio) .. وفيما
بعد اكتسب هذا النوع من القصص - كالعادة - مصطلحاً مرعباً
هو (بورتامنتو Portamento) ، وهو مصطلح موسيقى
أصلاً .. هناك شركة بريطانية اسمها (أميكوس) تخصصت
فى هذا الطراز من أفلام الرعب .. و

لماذا أقول هذا الكلام للفرغ ؟

لا أدري .. يبدو أننى لن أتخلص من هذه العادة الذميمة :
أن أذكر ما أعرفه حين توجد مناسبة لذلك ..
على كل حال هذه هى حلقة (البورتامنتو) - .. معذرة ..
حلقة الرعب السادسة ..

ماذا جرى فيها ؟ من كان ضيوفها ؟

أحسب أن الأمر صار واضحاً الآن .. فما دام هناك
متحف أسود فالقصة لا تحتاج إلى شرح أكثر ..

هل جاء الجميع ؟

جميل .. جميل .. لقد ازداد عددكم ثلاثة أو أربعة ، لكن

هناك وجهاً أفقده .. أين هو ؟ آه ! ها هو ذا .. أفسحوا
له من فضلكم .. إنه صغير الحجم ولن يسمع أو يرى شيئاً
وسط هؤلاء العمالقة الجالسين فى الصف الأول ..

وأنت كم سنك يا بنى ؟ عشرة أعوام ؟ لا أعرف إن كان
ما سأقصه الآن مما يناسبك .. ستقول لى إنه كذلك ،
ولسوف تضحك ملء شديك .. وبعد انتهاء القصة ستعلن
فى فخر أنها غير قادرة على إخافة قط صغير .. أعرف
هذا .. أصدقه .. لكنك ستعود لدارك وتخلو بنفسك .. عندها
تفكر : مضحك هذا العجوز .. ولكن .. كم يكون مخيفاً لو
حدث بالفعل أن ..

ثم تفكر قليلاً .. تقرر أن تبقى إضاءة الغرفة فترة أطول
قبل النوم .. إن القط الصغير لا يملك خيالاً .. أما أنت
فتملك .. أنا لا أتحدث عنك بالذات .. لم أقصد أن أهينك ..
فقط قلت إننى أفترض ..

حسن ؟ تريد البقاء ؟ ليكن ..

والآن نبدأ حلقة الرعب السادسة ، فأصفوا إلى ..

إنه الخريف أخيراً ..

أنا أعشق هذا الفصل بحق ، وأعتبره أجمل فصول السنة في مصر .. لو أنصف (فريد الأطرش) لقى : « وأدى الخريف عاد من تاني » .. احتفظ أنت بربيعك بعواصف خمسينه ، والرمد الحبيبي الذي يحرق عينيك ، وجو الامتحانات المخيف الذي لا يعينني في شيء . لكنه يسمم الجو بما يكفي بحيث تنقلص أعضائك كلما فتحت الشرفة ؛ لتري ذلك الطالب يقف بالقاتلة الدخلية في الشرفة ، ممسكاً بكتاب عسلي وهو يحك رأسه محاولاً إيصال بعض الدم إلى مخه المكدود .. انظر لليمين لتري جارتك الشابة تجلس على الأرض في الشرفة ، منكوشة الشعر مثل (ميدوسا) وهي لا تفك تحملي في الأفق محاولة تذكر مساحة (كورستاريكا) .. أضف لهذا أغنية (شادية) « الشمس باتت من بعيد » .. خارجة من المذياع ليكتمل الجو الجدير بأفلام الرعب ..

لا من فضلك .. إن عندي ألف سبب لأكره الربيع .. لما عن الصيف فلا تعليق .. الشتاء يمكن أن يكون محبباً لو لم تكن تمطر طيناً في كثير من الأحيان ، ولو كانت عظامي تتحمله ..

إنه الخريف .. الفصل العذب الرقي الذي لا يلبس (الملبوه) ولا يعطس في وجهك ، ولا يتهدد وهو يقطف الورد من المرج ..

روايات مصرية للجيب .. ما وراء الطبيعة

كنت جالساً في الشرفة بعد الفجر بقليل أتحمس لذعة برد محببة ، وأرشف الشاي ، وأتسلى بقراءة خطباتي ..

تلك المجموعة المعتادة من الخطابات التي تهددني بخراب بيتي ، أو تلومني على شيء لا أذكر أنني فعلته ، أو تطلب أشياء يستحيل أن أفي بها .. ثمة خطاب من (ماجي) أبقيته إلى النهاية طبعاً .. ثمة خطاب من ابن خالي في (المنصورة) .. خطاب من شخص يهددني بأن يفضحني لأن عنده الوثائق كلها .. طبعاً لا أعرف حرفاً عن الموضوع ، ومن حقه أن يفضحني لكنني أرجو أولاً أن يشبع فضولي ..

ثم كان الخطاب ..

كان مقتضباً إلى حد كبير ، لكنه أثار اهتمامي .. وكان مكتوباً بالعربية بخط أتيق نضيد يذكرك بالأسنان في إعلانات معجون الأسنان .. يقول :

عزيزي .. اسماعيل :

« أعرف أنك رأيت الكثير .. وما زال أمامك الكثير لقراه .. يقولون إن المال يجلب المال .. وأنا أعتقد أن الرعب يجلب الرعب كذلك .. ما أطلبه هو زيارة منك لداري المتواضعة للقاء .. ولسوف تشرح الأمور نفسها ، لأنني أمقت المقدمات .. »

وفي نهاية الخطاب كان هناك اسم (مازن أبو يوسف) مطبوعاً وليس بخط اليد وتحتته توقيع أنيق يصلح شعاراً لأسرة من نبلاء القرون الوسطى .. وكان هناك رقم هاتف يبدو أنه من الإسكندرية ..

طبعاً لا يحمل الخطاب أى وعد ولا يقول أية تفاصيل .. هذا بالضبط هو المثير فيه .. أذكر منذ سنوات أن أمريكياً نشر في الصحف كلها يقول : « إنها فرصتك الأخيرة .. أرسل دولاراً إلى العنوان التالي .. »

هذا الإعلان لم يتضمن أى وعد من أى نوع ، لهذا أرسل كل الناس تقريباً دولاراتهم إلى العنوان المذكور ، فلابد أن هذا العبقري الخبير بعلم النفس قد صار مليونيراً !

هكذا وضعت الخطابات جانباً .. وانتظرت حتى يأتى وقت مناسب للاتصال .. أعتقد أنه العاشرة صباحاً .. وطلبت الرقم المذكور ..

جاءنى صوت (مازن) وقوراً هادئاً يتساعل عنى هناك ، فأخبرته .. قال فى سرور حقيقى :

« سعيد باستجابتك هذه .. »

« أنا أحب الأشخاص الذين لا يعدون بشيء .. »

« وأنا أحب الأشخاص الذين لا ينتظرون وعداً .. »

« فقط أطلب وعداً بأن الموضوع ليس تافهاً .. أنت تفهم هذه الأمور .. »

« أعدك بأن الموضوع ليس تافهاً .. »

« هناك من يطلبون منى أن أذهب إليهم للأهمية ، ثم يتضح أنهم يريدون معرفة رأيى فى دواء الإمساك الذى يأخذونه على الريق ، أو حيرتهم فى الاختيار ما بين ابنة خالتهم الجميلة لكنها بلهاء قليلاً .. وزميلة الدراسة المتزنة لكنها قبيحة كالأبالسة .. »

ضحك طويلاً ثم قال :

« لا شيء من هذا .. اطمئن .. أنا لا أعانى الإمساك وأكبر سناً من العواطف .. »

كان لتفاهم معتزاً كما ترى ، وهكذا حصلت منه على عنوان دره .. إنها فى الإسكندرية كما قلت لك ، لكنى لن أكرر تفاصيل أكثر من فضلك .. لا داعى لأن أقول كذلك إن اسم الرجل وهمى ..

تلقا على يوم الخميس فى الساعة مساءً ، وهكذا عادت حياتى لانتظامها ..

لماذا قبلت ؟ لا أعرف كعادة .. هناك هذا الخليط من الفضول والشعور بالوحدة والرغبة فى جمع الخبرات الجديدة كدأبى .. دعك من حدسى الخاص الذى قال لى إن هذا الرجل ليس أحق ..

لما السبب الأكبر والأهم فهو قننى لم أر الإسكندرية منذ فترة ،
وأنا مغرم بالإسكندرية فى الخريف والشتاء كما تعرفون ..

فى السادسة مساءً دققت الجرس ..

هل وصفت لكم المكان ؟ لا ؟ حسن .. الأمر هو البساطة
ذاتها .. فيلا أنيقة من طابقين . لها طابع فيلات الستينات
الذى لا تخطئه العين ، ومن الواضح أنها حديثة البناء ..
نوفها راقى بلا شك .. وذلك الحرص الموسوس على استخدام
اللون الأبيض فى كل شيء .. إنها تذكرنى بفيلادكتور
(سامى) إلى حد ما مع فارق هائل فى الثراء طبعاً .. إن
د . (سامى) يربح الكثير كما هو واضح ..

يجب أن أنكر هنا أنه لا يوجد بواب ولا حراسة .. أنت تدخل
بحريتك كأي لص عبر البوابة المفتوحة ، لأنه لا أحد يجيب
على الجرس .. تمشى فى ممر طويل مرصوف بحجر الإسكافى
بين أنواع من الأزهار يوسفنى أنتى لا أعرف ما هى .. إن الأزهار
بالتسبة لى حمراء وصفراء وببيضاء .. برائحة أو بلا رائحة ..
لا بد أن لها اسماً مثل (الدالكونيا) أو شيء من هذا القبيل ..

وفجأة رأيته لسامى ..

أسود اللون .. يتطاير الشرر من عينيه .. يكشر عن
أنياه بينما انتصبت شعيراته كلها .. وهو يقف تلك الوقفة

التي تباعد بين السيقان قليلاً ليكسب مساحة ارتكاز أكبر ،
كما يفعل أى لاعب (جيدو) محترف قبل المواجهة ..

لا يهز ذيله القصير .. ذيله ؟ طبعاً .. إننى أتكلم عن كلب
طبعاً .. حسبت هذا واضحاً ..

كلب (بوبرمان) شرس المظهر يتحرك برجال العصابات ..
يقف فى الممر منذراً بالويل .. عندما تكف الكلاب عن هز
ذيولها وتصدر ذلك الزئير المكتوم ، تكون لحظة المواجهة
قريبة جداً ..

تصلبت حيث أنا وقلت له وأنا أراجع خطوة للوراء حتى
انفرست قدمى فى حوض (الدالكونيا) :

« اهدأ يا أحمرى .. أنا لست عدواً .. اهدأ .. »

« ونظرت للأرض كي لا أستقره .. لكنه واصل التحرش ..
لامر من هنا وعلى أن أتصرف .. »

دنا منى قليلاً ، فتذكرت القاعدة القديمة : من يستطع
مداعبة ماتحت ذقن الكلب يكسب وده . لكن لا تربت على
رأسه أبداً لأنه يفترض أنك ستضربه ..

هكذا مددت كفى كأننى متسول نحو رأسه محاولاً أن
أنزل بها تحت تلك الفم المخيف ..

« صبراً .. صبراً .. كلب لطيف .. »

أين ذهب هؤلاء الحمقى ؟

كنت أقرب أكثر حين دوى الصوت من مكان ما :

« لا تحاول .. لا تصدق كلام الكتب ! »

نظرت إلى مصدر الصوت فرأيت .. وكان قائمًا بسرعة وحزم نحو الكلب .. وهو يقول :

« دعه يا (نوسفيراتو) .. إنه صديق .. »

(نوسفيراتو Nosferatu) ؟ ما شاء الله ! إنه اسم مناسب جدًا ، لكنه يحمل نذيرًا ما .. لا أحد يسمى كلبه (نوسفيراتو) ما لم يكن هو الكونت (دراكولا) نفسه ..

تصلب الأخ (نوسفيراتو) وهو ينظر لصاحبه مترددًا نظرة البلطجي الذي يقول : دعني ألتهم حنجرتك هذه المرة فحسب .. سأكون كلبًا مطيعًا في المرة القادمة ..

ثم قرر أن يستسلم وبدأ يهز ذيله ، على حين تقدم السيد (مازن) ليربت على عنقه ، وأطبق أصابعه على الطوق .. على حين رحت أحرر قدمي من حوض الزهار (الدالكونيا) .. وقال لي وهو يحك عنق الكلب بعنف :

« معذرة لهذا الاستقبال البارد .. لكن لا تثق كثيرًا بموضوع التربية تحت الذقن مع كلاب الدوبرمان .. أحيانًا تدعى هذه الكلاب أنك لم تفعل .. »

قلت في ضيق :

« كان عليك أن تربطه بغاية .. إن مواعيد دقيقة .. ولو لم تشعر بنا لوجدت بضع عظام وكلبًا مصابًا بعسر الهضم .. »

« فلننس ما فات .. ما دام لم يؤذك .. »

« بالمناسبة .. أنت تجيد زراعة (الدالكونيا) .. »

« زراعة ماذا ؟ »

« لا عليك .. لا عليك .. »

وأشر لي في تهذيب ، ففكرت عبر فمير إلى باب الدار نفسها ..

طبعًا كنت مشغولًا بالكلب فلم أصفه لك - الرجل لا الكلب طبعًا - وهذه مهمة سهلة .. كان ضئيل الحجم دقيقًا إلى حد أن تصدقه ما لم تره .. وهو من الطراز الذي تدهش كيف يصدر منه هذا الصوت العسقي الضخم .. له شعر أبيض تمامًا مما يوحي بأن هذا ليس شيئًا عاديًا إنما هو أمر يتعلق بالجينات .. له شيء مبهم أبيض على شفته العليا ، فلا تستطيع أن تتذكر إن كان يشرب أم لا .. عوينات ؟ لا .. إنه ينزعها ويضعها عشر مرات في الحقيقة فلا يمكن أن تصفه بامتلاكها .. أما عن السن فهو من الطراز مشدود الجلد الذي لا يشيخ بسهولة لذا يصعب التكهن بسنه ، لكن لو تذكرنا كلامه عن

العواطف فلا أستبعد أنه تجاوز الخمسين .. أضف لهذا عشر سنوات لأننى أحمق كالعادة ، فلا بد أنه فى الستين إذن ..

كان يلبس الروب القصير اللامع وتحتة ربطة العنق ، حتى ليذكرك بالأوغاد فى السينما المصرية .. أعنى من يمثلون أدوار الأوغاد طبعاً .. الذين يقشرون التفاح ويصبون الشامباتيا ويخدعون الفتيات البرينات طيلة اليوم ..

البيت راق جداً وجدير بمظهره الخارجى .. لا أعرف كيف لصفه لك لأنه من الطراز المبهر الذى ينسبك للتفاصيل .. على كل حال نحن لم نأت لشراؤه .. لا داعى لإطالة الوصف ..

فتح جهاز تسجيل ما للتبعت أوبرا (مدام باترفلاي) ..

ثم استرخى على أريكة مريحة واضعاً ساقي على ساق ، ومد يده إلى عتبة سيجار ففضم طرف واحد ، وعرض على واحداً .. لكن صحتى لم تعد تتحمل هذه الطوربيدات ..

قال وهو ينفث السحابة كثيفة فى الغرفة :

« خذ راحتك .. أنا وحدى هنا .. »

« هل توفيت زوجتك ؟ »

ضحك حتى غلبه السعال .. وقال :

« ليس بالضرورة . ثمة احتمال أن أكون مطلقاً .. ثمة احتمال ثالث أن أكون عزباً .. هل لك فى بعض المياه الغازية ؟ »

« سيكون هذا محيياً .. »

لكنه لم ينهض .. هذا رجل يتقيد بحرفية الكلمات .. كأنه كمن يسأل للعلم فقط وليس للاقتراح .. دار بعدها الحديث فى كلام فارغ ، وما أكثر الكلام الفارغ فى هذا العالم .. ربما نصف ساعة أو أكثر ..

ثم إنه استرخى فى مقعده أكثر ، وقال لى وهو بعيد إشعل السيجار :

« على أننى لم أطلبك لأجل ذلك .. القصة بطول شرحها .. أنت طبعاً واسع العلم بعالم ما وراء الطبيعة يا دكتور (رفعت) .. »

قلت باسمًا :

« سأكون صريحاً معك يا سيدى .. لا أحد يستطيع أن يزعم ذلك .. وأعتقد أننى أزداد جهلاً بهذه الأمور يوماً بعد يوم .. لقد فقدت غرور الشباب التقليدى ، واكتسبت كآبة الشيوخ وعلمهم بحدود إمكانياتهم .. »

« إذن لنقل إنك شديد الاهتمام بذلك العالم .. »

- « ولا حتى هذه النقطة .. فقط تصادف أنني دائماً الشخص الخطأ في المكان الخطأ في الوقت الخطأ .. وكنت دائماً أنجو لأن أجلي لم يحن بعد وليس لبراءة خاصة مني .. »

كنت أعرف خيبة الأمل التي تسببها كلماتي هذه لمن يسمعها .. لكن الرجل لم يبد متأثراً بما سمع .. إما أنه يعتبرني كاذباً أو أن هذا لا يحدث فارقاً ..

قلت له :

- « كنت أتمنى لو بدأت الكلام فوراً .. أنا لم آت إلى الإسكندرية لأشرح وجهة نظري في الحياة .. كما أنني اخترت السادسة كي لا أعود في ساعة متأخرة .. إن القيادة مرهقة فعلاً .. »

.. « معك حق .. »

كانت مدام (باترفلاي) لا تكف عن التصراخ ، حين راح يتأمل طرف السيجار المشتعل ، ثم قال بتؤدة :

- « قضيت حياتي أطارد أسرار ما وراء الطبيعة .. أنت تورطت فيها بالصدفة أو بحكم الشهرة ، أما أنا فكنت أبحث عنها بحثاً .. جربت كل شيء .. والسبب هو أنني كنت أقوم بتدريس الفلسفة فيما سبق .. »

قلت بلهجة من وجد الخلاص :

- « فهمت .. يااااه ! علاقة قوية فعلاً .. »

ابتسم .. هذا الرجل يفهم الدعاية فعلاً .. وقال :

- « أنت تسخر مني ، لكنني بالفعل حسبت أن السبيل الأمثل لفهم الكون هو فهم ما وراء الكون .. من نحن وماذا نفعل هنا ؟ إن الفلسفة تحاول فهم الجدار .. وأنا حاولت أن أنظر إلى ما وراء الجدار .. يجب أن أقول هنا أنني لم أفهم الكثير ، فالإجابات صعبة نكرة ، لكن أكثر ما اضطدمت به هو الرعب .. إن الأشياء الغامضة مخيفة ياد .. (رفعت) .. مخيفة ولا أفهم لذلك سبباً .. »

في هذا كان أحق .. نحن نخاف ما لا نعرفه .. كل حمار جر يعرف هذا .. انظر إلى عيني طفل في الخامسة تطلب منه أن يصفح (عمو) .. (عمو) الذي يراه الآن للمرة الأولى .. انظر إلى بدائي من صحاري أستراليا يرى التلفزيون لأول مرة .. راقب عيني طالبة يستوقفها غريب في الشارع ليسألها عن شيء ما .. سوف ترى دوماً تلك النظرة .. نظرة الأرنب الخائف الذي يفر ليختبئ منك وقد رآك قادماً ..

قلت له بنفس التهكم السابق :

- « هكذا رحلت تبحث عن عملتك النادرة بين تراب

الرعب .. »

- « حاولت واتسخت قلمي كثيراً .. لكنى لم أفهم أفضل ..
وسؤالى لك بعد كل خبراتك هذه .. هل فهمت أفضل ؟ »

قلت له فى غيظ :

- « ألم أذكرك من أن تأتى بى إلى الإسكندرية للكلام عن
خواطرك الخاصة ؟ »

لم يول كلامى اهتماماً وقال فى جدية :

- « أنا لم أفهم الكثير عن عالم ما وراء الطبيعة .. لكنى
فهمت الكثير عن فلسفة الرعب .. ولو قررت أن أكتب فى
الرعب لصرت أروع من (بو Poe) ذاته .. إن للرعب ست
تيمات أساسية فى رأيى المتواضع .. يمكن القول إن
لحصن أمانك النفسى ستة أبواب .. يمكن أن تداهم من
أحدها فى أية لحظة .. ولو اتخذت عدتك لهذا الاقتحام
لصرت فى أمان .. »

- « سيكون أمانى النفسى فى خير حال لو تكرمت بالدخول
فى الموضوع .. »

ضحك من جديد .. هذا الرجل يضحك بلا انقطاع
كالضباع .. وقال وهو ينهض :

- « إننى أكتب كتاباً عن (سيكولوجية الرعب) .. وهذا
الكتاب ليس بالكتاب الهين .. إنه كتاب عمر كامل .. لسوف يتخذ
مكانه على رفوف أية مكتبة محترمة مثله مثل (الوجود والعدم)

و (تفسير الأحلام) و (عن حركة القلب) .. إلخ .. لاحظ
أننى لا أتحدث عن الكتب الدينية هنا طبعاً .. لكنى لن أعتبر
أننى بلغت الكمال إلا لو أخذت رأى خبير رعب مثلك .. »

ثم أشار لى باتجاه الدرج وأردف :

- « لو تكرمت معى بالذهاب إلى الطابق الثانى لفهمت
بعض ما أريد منك .. »

نهضت بصعوبة ومشيت معه ..

إنه يتجه إلى درج خشبى أبيض يصعد فيه .. ومن موضعى
لعالى هذا اختلست نظرة فهمت بها جغرافية المكان وإحداثياته ..
هذه فيلا كاية فيلا أخرى ، وإن لم يكن صاحبها ثرياً جداً ..
ذوقه راق بحق ، لكنه ليس مفرطاً فى البذخ ..

هناك ممر .. والممر يقود إلى قاعة واسعة فى نهايته ..

ابتسم وقال لى وهو يعالج الباب :

- « هذا مكتبى .. سوف تحب المكان .. »

بالفعل كان فى الداخل مكتبة .. لكنى لم أحب المكان .. غرفة
مكتب واسعة هى ، تردان جدرانها بالكتب من الأرض إلى السقف ..
كل الكتب مجلدة بعناية دون كتابة على كعوبها .. لكنها
مراجع ثقيلة .. يمكن أن تكون عن القانون المدنى أو الفقه

الإسلامي أو الفلسفة الإغريقية أو تشريح الرقبة أو حتى مجلات (ميكى) منذ صدورها حتى اليوم .

يوجد مكتب مهندم عليه بعض الأوراق . وثمة إضاءة خافتة جدًا . لقد أعد هذا الضوء بعناية كي يسقط على وجه الحائس أمام المكتب ، بينما يظل من خلفه فى الظل ، كما يفعل رؤساء منظمات التجسس فى القصص الرديئة .

طبعاً مع غرفة مكتب مثل هذه أتوقع أن ...

بالفعل إن الرجل يتجه إلى مكتبة جدارية عملاقة ، فيبناها . إنها تتحرك حول محور رأسى لتتفتح كالباب . لقد صار هذا المشهد مملاً . خلفها توجد قاعة لا أعرف ما فيها ..

وقف على باب القاعة وقال بطريقة مسرحية :

« إن هذا هو مقرى الحاصل يانكتور (رفعت) . وإننى لأخصى فيه من الوقت أصعب ما لقضيه فى المكتب نفسه . »

دخلت القاعة فى حذر ..

يمكن أن أقول تقريباً إن طولها سنة أمتار وعرضها أربعة . تذكرنى إلى حد ما بمتحف علم الأمراض فى كليتي

لو أى متحف عموماً .. والسبب هو تلك اللوحات الزجاجية المترامية بطول الجدارين . ثمة راحة عضوية قوية وأنا لكره تلك الروائح التى يكون مصدرها حيوانياً أو آدمياً . إنها تثير تقزى نوعاً . أما سبب الجو الخائق فهو أنه لا توجد نوافذ هنا . هناك جهاز تكيف لكنه يعمل بأقل طاقة لديه

« لا بد من التكيف حتى لا تفسد العينات . برغم أن الطقس معتدل .. أنت تفهم هذا .. »

الإضاءة خافتة تنبعث من مصابيح جدارية مركبة بحيث ينبعث الضوء منها لأعلى . راسمة مشاتل مخيفة من النور على مسافات منتظمة . لكنها تتعطف بعض الشيء على اللوحات فتقى عليها ضوءاً بخيلاً لا يزيل الغموض

هناك لوحات على الجدار . لوحات تذكرك برسوم (دالى Dali) السيرىالية العجيبة ، التى تمزج المقاييس التشريحية للصارمة بتشوه الهلوس ..

لم أستوعب ما أراه . فوقفت هنيهة صامتاً ثم قلت :

« لا أعرف كنه هذا المكان . لكنه أقرب إلى متحف .. »

« بل هو متحف . لكنه أغرب متحف فى العالم . »

ثم نظر لى ليرى وقع الكلمات على وقال :

« إنه المتحف الأسود .. »

لم يكن الاسم غريباً على .. هناك متحف أسود فى (سكوتلانديرد) يضم أثر الجرائم التى حيرت رجال الشرطة فى الماضى لكن من الواضح أن الأمر يتعلق بتشابه أسماء لا أكثر ..

دنوت من الواجهات الزجاجية متوجساً .. فأدركت أن محتواها يناسب هذا التوجس ..

فى الواجهة الأولى ثمة يد بشرية . يد مبتورة عند المعصم محفوظة فى سائل (الفورمالين) هذا جميل وربما هو من المناظر المبهجة بالنسبة لطبيب مثلى لكن ما يثير الحيرة - وربما الرعب - هو تلك الأطراف الطويلة الشبيهة بالمحالب التى تخرج منها وعلى الزجاج كانت صورة رجل وقور يتسم . هل هذه يده ؟ إذن لماذا يتسم ؟

فى الواجهة الثانية لا يوجد شيء مخيف ، باستثناء هيكل عظمى كامل . هيكل متآكل يبدو عليه القدم . لكن لحظة من لفلك . ثمة خطأ هنا . إن له أنياباً حادة قطعة بدلاً من الأسنان ..

هناك قفازان من الجند الأسود فى واجهة ثالثة . هناك مادة هلامية متجمدة كأنها شمعة عملاقة ذابت كلها هناك

قطع من مادة حمراء كأنها مشعة أو كأنها حجر كريم .. ثمة عبء فى واجهة ، ومجموعة من أوعية حفظ العينات كما فى متاحف علم الأمراض ..

هناك كلب محنط يقف متحفظاً فى إحدى الواجهات . لا شيء يميزه غير أن لونه أحمر بالكامل كأنه الدم . هل تم طلاؤه ؟ الخلاصة أننى لا أستطيع استيعاب كل شيء بهذه السرعة ..

فى انبهار التفت إلى الرجل الذى كان يرمق دهشتى ، وقلت :

- « هذه مجموعة مثيرة للاهتمام لكنك لم تتقاض منى رسم الزيارة .. »

قال فى مرح أخافنى :

- « فيما بعد فيما بعد . هذه أمور يمكن أن تنتظر »

قلت له وأنا آخذ نفساً عميقاً :

- « حسن . القصة واضحة أنت قصيت حياتك تجمع آثار عالم الرعب الذى نجهله .. »

- « هو ما تقول ولكل واجهة من هذه الواحات قصة مثيرة أتمنى لو سمعتها . وأتمنى لو حاولت الفهم معي . من أين يأتي الرعب ؟ ما سره ؟ »

عقدت ذراعي على صدري وانتظرت ما سيقول .

لم لا ؟ أنا متأكد من أن هذا الرجل ليس د (لوسيفر) وليس خصماً قديماً لي . لقد صرت ذا خبرة فسي هذه الأمور . إن ما سيقصه علي قد يكون مهماً لأقصى حد ، وقد يكون مجرد تفاهات ..

هكذا بدأت حلقة الرعب السادسة ..

وكان مقدراً لي ألا أعود إلى داري في تلك الليلة كما توقعت ..

حكاية الرجل الذي أجاد دوره

وقف (مازن) ينظر إلى الواجهة الأولى من نهاية القاعة . لم تكن شيئاً خارقاً للعادة ، فيما عدا عباءة سوداء قديمة مغبرة تمزقت بعض أطرافها ، معلقة في إهمال على غصن شجرة . طريقة عرص أراها كثيراً في محلات وسط القاهرة ، ولا أرى فيها شيئاً غريباً ..

قال لي :

- « قصة هذه العباءة غريبة بعض الشيء . وقد اقتضاني الأمر أن أرتحل إلى (ترانسلفانيا) كي أحصل على القصة والعباءة معاً .. »

قلت باسمًا :

- « القصة واضحة الآن (ترانسلفانيا) وعباءة سوداء أنت تتحدث عن مصاص دماء يا صديقي . ربما كان تكونت (براكيولا) ذاته .. »

ضحك بدوره وقال :

- « نعم قلن أنسى أنك محترف إلى حد ما واسع الخبرة ، لكنني أراهمك على أن القصة التي سأحكيتها من الطراز الذي يروق لك . إنها تمثل طرازاً معيناً من الرعب . رعب

الغفلة . رعب (كان الأمر واضحاً لكنني لم أنتبه له وقتها) .. الدخان ينقشع ببطء وأنت لا تعرف ماذا يحدث . هو ذا يشكل المعالم الخارجية لجسد .. الآن يزول الدخان تماماً وتفهم أنك تقف أمام شيطان . هنا تدرك أن الأمر كان واضحاً . كيف لم تنتبه لهذا في اللحظات الأخيرة ؟ »

قال (مازن) :

بدأت القصة منذ فترة في (ترانسلفانيا) .

كان المخرج الأمريكي الشاب (جوناثان بيكر) يجيد عمله حقاً .. إنه واحد من جيل (الصبيان المزعجين) في السينما الأمريكية . يمتازون بالذكاء والنشاط . هم دوماً قادرون على تحقيق أفضل نتيجة ممكنة بالميزانية المطلوبة في الوقت المطلوب . لكن لا تتوقع منهم عبقرية خارقة

وكان الفيلم المزمع تصويره والذي قبل السيناريو الخاص به هو فيلم آخر من أفلام مصاصي الدماء .

حين عرض عليه المنتج المنفذ السيناريو ، تصفحه بسرعة ثم قال في ضيق :

- « لم يعد أحد يتحمل أفلام مصاصي الدماء يا (ويلي) لقد انهارت شركة (هامر Hammer) .. »

كان المنتج رجلاً صرح البطل رصيف عن نفسه
وبلثاني يعتبر ان الجميع حمقى او اوغاد ، وقد قال له وهو
يفتح علبة من الجعة :

- « لقد قُتلت شركة (هلمر) محاولات تحيد لا بأس بها »

- « لكنها نهارت برغم هذا لقد عرف الناس عن محاولات
التجديد لانها (ليست مم أفوه) بينما عرثوا عن افلامهم
التقليدية لانها (مم أفوه) هناك لحظة تقرر فيها الجماهير
فجأة ان البعة انتهت ولا أحد يعرف متى ولا لماذا »

قال المنتج وهو يفرع محتويات العلبة في بطنه المصنوع

- « لقد صار الناس اكثر ميلا الى الرعب الأمريكي بعد
ما قمنا (طرد الارواح الشريرة Exorcist) و (ظن رورمرى
Rosemarys Baby) انتهى الرعب البريطاني رحى
التكاليف رعب الاحمر والاسود لم يجد أحد يحذف من رجل
يضع أنيابا من البلاستيك ويرأر منتظها بانوحشية الا
جاء عصر الرعب الأمريكي بنوبيه الازرق والاحمر .
رعب الميزانيات العملاقة رعب امواتات التي لا تصدقها
ما لم ترها .. »

فكر الفنى وهو ذاع بحبه شقراء القصيرة

- « لا أعرف يا (ويلي) .. ما زلت مترددا .. »

هم المنتج العلبة التي فرع من شربها ثم قال فى برود :

- « هذا هو السيناريو وأنا أريد منك ان تصنع منه
شيء خارق للعادة خذه أو اتركه هناك عشرات
المخرجين غيرك يتمون فرصة كهذه »

لم يفكر المخرج مرتين طبعا كان طموحاً وكان يعرف
ان الطريق لتحقيق طموحه وان بعض ما يريد هو أن يبدأ
بفرض ما لا يريد قال وهو يحد لسياريو

- « ليكن يا (ويلي) .. سأخرج هذا الفيلم .. »

كما هي العادة فى السيم الامريكية ، كانت الميزانية
محيية جدا الحديد هما ان التصوير سيتم فى (ترانسلفانيا)
باندات فى قنعة انكوب در اكيولا داتها

وقد انتقل فريق العمل الى هناك ، وتمت إعدادات المصكر
التي تشبه أية إعدادات (لوجيستية) لاي جيش معاصر
إن الجزء الذى سيتم تصويره فى (ترانسلفانيا) معقد وهو
الأصعب فى عملية التصوير ، بينما الجزء الحاصل بتولايات
للمتحدة سهل على الأرجح مجموعة من الطعام يتناقشون فى
شك حساء حنطة فى عرفة نومها الح

يتضمن السيناريو أن سائحاً أمريكياً يضل طريقه في قلعة الكونت (دراكولا) . يصرخ كثيراً ويحاول كثيراً وفي النهاية يقهره التعب فينام . أخ . كيف لم يعرف هذا الأحق أن المكان الذي اختاره للنوم هو القبو ؟ كيف لم يعرف أنه ينام إلى جوار تابوت الكونت (دراكولا) نفسه ؟ التابوت الذي فشل من بحثوا في القصر في العثور عليه . لكنه وجدته بضربة حظ أو سوء حظ ..

الآن تتسرب رائحة اللحم البشري إلى منخري الكونت لقد بدأ هذا ينش خلاياه إنه ينهض إنه يرفع غطاء التابوت إنه يستولي على روح السائح لكنه مازال واهنا لا يقدر على مغادرة القلعة ..

بعد هذا يصير السائح خادماً له يكلفه بإحضار الناس إلى مقبرته والهدف هنا أن تتم طقوس معينة فوق تابوت الكونت هذه الطقوس سوف تعيد له قدراته كاملة .. إن الضيوف يعتبرون ما يدور مزاحاً لكن السائح الأول هو الوحيد الذي يفهم معنى ما يحدث ..

وفي اللحظة المروعة يتحرر (دراكولا) وقد صار قوياً كما كان ينقض على الضيوف ويفتك بهم . ثم يخرج إلى العالم الخارجي ويعبر المحيط إلى الولايات المتحدة .

كان (جوشان) الشاب يعرف أن الحزء الفاتت لا جديد

فيه . يمكن أن تقدمه (هامر) بسهولة أو تكون قد قدمته منذ أعوام في أفلامها التي لا حصر لها عن (دراكولا)

وقالت له مساعدته ذلك وهي فتاة فاتنة - بالمقاييس الأمريكية - تدعى (ويلما) . كانت جالسة تتأمل القلعة الجاثمة كالكابوس وسط الضباب من بعيد .

قال لها وهو يريح ساقيه على مقعد أمامه ويرفع رأسه ليتأمل للشمس :

« أعرف هذا لكنى أراهن على عدة أشياء أولاً شخصية (دراكولا) ذاتها لن تكون مسطحة مثل شخصيات (هامر) المعتادة سوف نتحاشى أسلوب التعميط أو القولية Archetyping الذي تجيده تلك الشركة (دراكولا) كما سنقدمه نحن شخصية ثلاثية الأبعاد لم ترد في السينما قط . ثانياً : أراهن على مجموعة المؤثرات البارعة التي سنحاول أن نقدمها هذه أشياء لا يقدر البريطانيون عليها ثالثاً : سأحاول أن أستفيد من أخطائنا هنا لأصححها في الولايات حين نعود .. يمكن أن يقوم الكونت بأشياء مرعبة فعلاً حين يذهب إلى هناك .. »

راحت تدون بعض الأرقام في لوح الكتابة الذي تمسك

به . ثم سألته :

- « هل حددت أماكن التصوير داخل القلعة » إن تصريح الحكومة الرومانية لن يدوم للأبد .. »

كان لا يعترف لنفسه بالحقيقة هو بالفعل لم يحب قط هذه القلعة . إن لها شخصية قديمة نو كانت للأماكن شخصيات . وهذه الشخصية القديمة لا علاقة لها بالهستيريا أو التأثير بما قيل عن القلعة قديما . هو ليس من هذا الطراز .. إن لهذه القلعة وجودا نفسيا لا شك فيه ، والعارفون بهذه الأمور يقولون إن أي مكان جرت فيه مذابح سابقة يحمل هذا الوجود النفسي

لهذا ظل يؤجل لحظة البدء بالتصوير داخل القلعة . راح يضع الوقت في التقاط مشاهد عامة لها من الخارج وكان من الواجب أن يسمعه كون القلعة كنيية . هذا يسيل له لعاب أي مخرج رعب . لكن الحقيقة هي أنها كانت كنيية أكثر مما يلهم مخيلته أو يسمعه ..

عادت (ويلما) تسأله :

- « لم تستقر بعد على ممثل (دراكيولا) »

كانت هذه ورقة لعب مهمة يحتفظ بها . إن ممثل دور (دراكيولا) سيكون - للمرة الأولى على قدر علمه - نبيلاً رومانياً أصلاً . رجلاً يتكلم الرومانية بطلاقة ويتكلم الإنجليزية بصعوبة ولكنة شرقي أوروبية ثقيلة ..

قال لها في ضيق :

- « سوف أجده حتماً .. لا تقلقى .. »

وكان مساعده الآخر الروماني أو ما يمكن أن نطلق عليه (منسق الجزء الروماني من التصوير) شاباً متحمساً يدعى (إيزاك) مهمته كانت أن يقابل هؤلاء الراغبين في التمثيل . يطلب منهم تلاوة بعض السطور ثم يهز رأسه وبعد بالاتصال بهم . كان الوقت يمر والمخرج يزداد قلقاً .

لكنه لم يكن مستعداً للاستعجال :

- « للمرة الأولى أعطى دوراً محورياً بهذه الأهمية لشخص لم يقف أمام الكاميرا في حياته . هذه مقامرة مريضة .. »

قال مساعده الروماني وهو يشعل نفاسة تبغ .

- « لهذا بالذات لا أحد يصلح حتى هذه اللحظة . كلهم لا يجيد قراءة سطر واحد .. »

هكذا أمضى المخرج أياماً قلقة . إن اليوم يكلف مالاً باهظ ، وبدأ يتساءل إن لم يكن من الواجب استدعاء ممثل روماني أو أمريكي محترف عبر المحيط لإلقاء الموقف ؟

في اليوم الثالث جاءه المساعد بلهث وهتف :

- « وجدتها .. أعنى وجدته ! »

- « من هو ؟ »

- « ممثلك المرموق الكونت (دراكويلا) تعال معي حالا .. »

هكذا ترك مافي يده ، واتجه عبر المقطورات المترصصة إلى حيث كان بعض رجاله يحيطون برجل فرع القامة . من النظرة الاولى عرفه به هو كس مهيب غريباً له طابع ارسقراطي لا تحطنه العين ، لكن الأهم من هذا أنه

كان لا يشبه (كرسطوفر لى Christopher Lee) فى شيء وهذه مزية مهمة لمن يحاول أن يختلف عن (هامر)

دبا من الرجل كانت له عيى ثقتى راتعت

قال المساعد الرومانى :

- « هذا هو (يوحى أولاف) . مدرس متقاعد يهوى التمثيل ، وهو يرغب فى فرصة معنا .. »

راح المحرج يدور حول الرجل بتلك الطريقة غير الإنسانية التى يحيد بها المحرجون ، كأنهم يتعلمون مع مقعد حمال أو مضخة ماء . كانت ملامح الرجل الحادة ونظراته الشقية لا تقاوم

- « هل تعرف كيف يمثل ؟ »

تكلم المساعد مع الرجل بالرومانية ، فنفض هذا صدره وبلهجة فظيعة قال :

- « أكون أو لا أكون .. تلك هى المسألة .. »

واستمر فى أداء مونولوج (هاملت) الذى يحفظه جيداً ، لكن ملامح وجهه كانت تعبر بصدق أكثر مما يعبر لسانه يمكن أن تتابع الحوار من عينيه ..

قال له (جوناثان) بعدما فرغ من الكلام :

- « أنت تعرف (هاملت) .. هذا جميل .. »

قال بنفس اللهجة وبوقار لا حد له :

- « كنت أدرس الأدب الإنجليزى منذ أعوام إتلى أجدب الإنجليزية يارئيس .. »

وبصرف نظر عن موضوع ما يعتقد أنه إجابته للإنجليزية ، وبصرف قنظر عن مناداة (جوناثان) بـ (رئيس) وهى طريقة لم يحبها قط ، فبن المخرج بدأ يعتقد أن الخط قد أسدى له خدمة .. لقد وجد ممثلاً لا بأس به بعض التكرييات ستكون كافية . ولسوف يتساءل الناس عن عقريية المخرج الذى وجد هذا الممثل البارع الذى لم يمثل قط من قبل سيكون (يوحى أولاف) حديث (هوليود) لفترة ، إلى أن يمسى موضوع النفيم ، عندها لن يجد من يهتم به أبداً

بالمعل برهن (أولاف) على أنه ممثل بالفطرة . كان

مطيف واجتاز كل اختبارات الكامير بتفوق ، كما أنه خضع
لعدة دروس فى الإلقاء . لم يكن المطوب إحداء لكنته
الثقيلة بل إظهارها أكثر ..

كما أنه لم يتحدث فى الماديات عنى الإطلاق . لقد قبل
أى مبلغ عرصوه عليه . وان راقى له فكرة أن الجزء
الباقى من التصوير سيستكمل فى الولايات المتحدة

ذهب مصمم الإنتاج مع مساعد المخرج الى البلدة .
هناك ابتاعوا بعض الإصافات الضرورية للشخصية ، ووجدوا
لدى أحد الفجر المسمين الذين كفوا عن الترحال أشياء
مهمة . عباءة سوداء تصلح للدور وقلاية غريبة الشكل
كلها أشياء مهمة وتنشط الخيال بلا شك

أخيرا جاء اليوم الموعد وسنطت الأصواء . وارتدى
(أولاف) الثياب السوداء وتذكر بالعباءة ، ف شعر كل من
راه برحفة ترحف عبر عموده الفقرى . وهمس (جونثان) فى
إذن مساعدته :

« لا أحب كثيرا أن أمشى فى طريق مقفر مظلم لأجد
هذا الرجل أمامى . وهل تعرفين معنى هذا ؟ »

نظرت له متسائلة ، فهتف فى مرج :

« معناه أننا سنحج يا صغيرة ' سننحج ' »

كان المشهد يمثل الكونت (دراكيولا) وهو راقد فى
اللقابوت .. وقد بدأ يستعيد قواه ..

كان نيك التابوت العتيق موجودا فى القبو منذ زمن ،
وقد راق للمخرج لأنه من طراز فريد . إنه حجرى ثقيل
عليه نحت قوطى لا بأس به أبدا . تحتاج إلى ثلاثة رجال
كى تزيج غطاءه . والأهم من هذا أنه كان فارغا .

من المثير أن الممثل المساعد رفع قدمه بلا تردد وخطا
داخل التابوت كأنما كان يفعل هذا طيلة حياته . أما الأهم
فهو أن التابوت كان يناسبه بالضبط . لا يوجد ستييمتر
واحد أطول ولا أقصر .. يذكرك هذا بأسطورة (أوزيريس
Osiris) الفرعونية الشهيرة . حينما لم يكن فى الحفل كله
من يصلح جمده للقابوت إلا هو ..

ماذا فعل المخرج وطاقم التصوير ؟ هللوا طربا لكل هذه
المصادفات السعيدة ..

فى رأى أنه توجد علامات مريبة . الكثير منها فى
الواقع ..

ألا تراها معى ؟ إن الصورة تتجمع . تحتشد ببطء لكن
أحدا لا يراها ..

قال (مارتن) :

ظل المحرّح الشاب (حوباثن) يعمل في الأيام التالية .
لقد بدأ يتعلّب على نفوره من القلعة والتقط فيها مشاهد
ناجحة . لقد اقتربت مشاهد (تراتسلفاتيا) من الانتهاء
على كل حال ، بعد هذا يعود إلى الوطن ومعه ذلك الممثل
البارع الذي لم يمثل قط ..

وسال مساعده وهو يفتح علبة من المياه الغازية :

- « كيف حال ممثلنا الصاعد ؟ »

- « انه قليل الكلام لكنه بخير حال . ملتزم تمامًا بمواعيد
التصوير . يأتي قبلها بساعتين ، ويعود بعدها بمساعتين
أنت تعرف أنه يسكن قريبًا من هنا . وهو غير متزوج
وبلا أطفال . لعل هذا يفسر كل هذا الالتزام .

- « ولماذا لا يقيم مع طاقم العمل هنا ؟ »

- « إنه غير مولع بالاجتماعات ولا يحب مخالطة
البشر . على كل حال لن يبدأ تحطيم عاداته الانعزالية
بالاختلاط بأمركيين .. »

وصحك مع ان الامريكيين قوم غير متحفظين بطبعهم

أميل إلى المرح والضحك ، بينما هذه الطباع المنطقية يناسبها
البريطانيون أكثر . وهذه من نقاط نهكم الأمريكيين على
البريطانيين التقليديين بناء الإمبراطورية التي لم تعد كذلك
نظر إلى لوح الكتابة الذي ثبتت إليه الأوراق بمشبك في
يده ، وسألها :

- « هل أعددت كل شيء لمشهد الحفل ؟ »

- « كل شيء جاهز لكنه سيكون مشهدًا معقدًا إن
هناك مجاميع . وليكونن التتابع مشكلة »

- « إنهم لم يرسلوني هذا لأنني درست الإخراج بالمراسلة »

وبدأ الفتية يتوافدون . هم مجموعة من الرومانيين من
الجنسين أكثرهم يجيد الإنجليزية . وكانوا سعداء بفكرة
الظهور على شاشة السينما في (هوليوود) مع احتمال
ضئيل جدًا أن يروا أنفسهم ، لأن الحكومة لن تسمح بعرض
الفيلم على الأرجح ..

راح (جونستان) يراجع الأحداث مع الفتاة مط شفته
السفلى وبدأ غير مستريح ، ثم غمغم :

- « الطقوس التي ستقام على تابوت الكونت لا تريحني

فيها الفتحال واضح . كأنما هم أطفال يلعبون . أريد أن تبدو أكثر أصالة .. »

- « وهل تعرف كيف نجعلها أكثر أصالة ؟ »

- « أطلبى (إيزاك) . هذا الفتى يعرف الكثير من الحنول . »

وجاء الفتى (إيزاك) المتحمس ، وهو يلهث ويعرق بغزارة كعادته . لقد أمضى أسود ساعات حياته مع كل هؤلاء الشباب الذين لم ير أى منهم كاميرا من قبل ، لكنها أسود وأهم ساعات حياته كذلك ..

قال له (جوناثان) بعد ما أخبره بمشكلته :

- « يمكن أن استشير الفخر (التسجاني) هناك واحد منهم فى البلدة . أعتقد أن كل هؤلاء القوم مارسوا السحر يوماً ما .. أو كان لهم قريب يمارسه .. »

ألح عليه (جوناثان) :

- « أريد تفاصيل كاملة دقيقة . هذه الأشياء قد لا تغنى الكثير لمشاهد أمريكى ، لكن لا بد فى هذا الزمن الأسود من أمريكى من أصل رومانى أو كان سائحاً أو مصاص دماء ليقول لنا بـ ما قدمه فى الفيلم هراء .. »

لم يفهم (إيزاك) ، لكنه فهم شيئاً واحداً فقط .. عليه أن يكون دقيقاً ..

وهكذا عاد بعد يومين حاملاً ثلاث ورقات مليئة بالتفاصيل .. يبدو أن هناك دم طائر سيسيل على التابوت هناك شمعة سوداء إلح هذه تفاصيل لن أخوض فيها يا د . (رفعت) .. أنت تفهم هذه الأمور ..

تمت عدة بروفات على المشهد ثم أعلن (جوناثان) أنهم سيبدعون التصوير حالاً ..

رقد (أولاف) فى التابوت ، وحرصوا على رفع الغطاء قليلاً عن طريق وضع رافعة معدنية تحته كي لا يختنق الرجل . فالتابوت - كأي تابوت آخر - سين التهوية ..

وهكذا بدأت الكاميرات تدور . نعم كاميرات لأن (جوناثان) قرر أن يصور هذا المشهد بالذات بثلاث كاميرات ، لأنه معقد بما يكفى . وسوف يستطيع فيما بعد انتقاء اللقطات الصالحة .

الشباب يتحدثون حول التابوت يتبادلون عبارات المزاح بالرومانية زجاجات . ضحك . فتاة تنهض لترقص فى هستيريا .. هذا الحوار كتبه (إيزاك) بالرومانية طبقاً لتعليمات المخرج ..

وهب الجميع نحو للتأبوت الذى انفتح إلى النصف الآن .
وتعاون الرجال على إزاحة الغطاء الثقيل ليخرجوا
(أولاف) منه . كيف انفتح هذا الغطاء الثقيل الذى
لا يستطيع إلا ثلاثة رجال زحزحته ؟

خرج (أولاف) من التأبوت وبدأ كأنما هو مذعور أو
مذهول ؛ لذا طلب منهم الإذن وابتعد مسرعاً ..

وهتفت المساعدة فى عصبية :

- « لماذا أوقفت التصوير ؟ كن من المفترض أن يفتح
التأبوت .. »

نظر لها (جوناثان) نظرة ذات معنى ، وقال :

- « كان الغطاء سينفتح قليلاً لكن ليس فى هذه
اللحظة بالذات . وكان سيفتح بايدى العمال الذين يشعلون
الرافعة وليس من تلقاء ذاته .. »

فى اليوم التالى اختفى (أولاف) تماماً

لقد بحثوا عنه كثيراً ، وذهب مساعد المخرج إلى البلدة
فلم يجده ..

كان (جوناثان) الآن فى أسوأ حل من التوتر والعصبية ..
لقد انتزع أكثر شعيرات لحيته شبه النامية .. لقد اختفى
الممثل الرئيس ، ومعنى هذا أن كل ما تم تصويره لم يعد
ذا جدوى ..

طلب الشرطة لكنه كان يعتقد أنهم يستقلون شأنه . هم
لا يهتمون إلا بالحوادث ذات الشأن ، لكنهم لا يحترمون كثيراً
هؤلاء السادة المترفين الذين يبحثون عمن يؤدى دور
(دراكيولا) ..

واتصل بالولايات المتحدة ليخبرهم بالكارثة ، فتهالت عليه
الصواعق . عبثاً حاول إلهامهم أنه لم يقتل الرجل ولم
يخفه فى جيبه لكن (العمل هو العمل) ولا مجال
للعواطف أو الأعذار ..

وعبر المحيط سمع المنتج يزار من دون حاجة للهاتف .
- « وماذا تنتظر يا أحمق ؟ ابحث عن ممثل آخر فوراً ،
وعليك أن تعيد تصوير كل هذه اللقطات فى زمن قياسي .. إنك
متأخر عن جدولك أصلاً ، وإبنى لا توقع منك معجزة .. »

- « سأفعل يا (ويلي) .. »

لكنه بشكل ما أدرك أنه انتهى .. لن يعهدوا له بفيلم عن
بالوعات المجارى فيم بعد هذا الارتباك الذى لا ذنب له

فيه لا يفعل إلا أن ينثر الغبار من حوله ومع الغبار لا يستطيع أحد أن يعرف من كان المحطّن .

وهكذا جلس مع مساعدته يحاولان إنقاذ ما يمكن إنقاذه

بعض اللقطات لم يظهر فيها (أولاف) وهذا جيد
المشهد الكرشى لم يكن مفروصاً أن يظهر فيه (أولاف)
إلا كلمحة عابرة هذا شيء يمكن إنقاذه بالمونتاج دون
إعادة تصوير الحفل الصاخب ثانية ..

قال لها وهو يتأمل ما ينبغي إعادته من لقطات :

« أعتقد أننا سنتجح . لكننا قد عدنا إلى نقطة البحث
عن ممثل .. »

« سنجد واحداً ، لكن سيكون عليك أن تتنازل قليلاً .
لم نعد نملك كل الوقت كما كنا في الماضي . »

« إن جدتي تصلح للدور فلو استطعت أن أتى بها
لأنقذت الموقف ، لكنها متوفاة منذ عامين . »

هكذا عادت الحياة إلى انتظامها ما عدا عملية البحث
المحمومة عن رجل يصلح لأداء دور الكونت

وفي اليوم الخامس ظهر (أولاف) من جديد .

- ٣ -

قال (مازن) :

كان ظهور الرجل درامياً ، حتى شعر (جوناثان) بأنه
موشك على البكاء .. فنولا الوقار لارتدى في أحضان الرجل
وبكى ساعتين على كتفه .. فما إن انتهت إجراءات
الترحيب ، حتى سألوه عن سبب اختفائه غير المبرر .

اكتفى الرجل بأن هز رأسه في وقار وابتسم :

« إنها أسباب دينية يا رئيس .. »

« دينية ؟ »

« أنا أنتمى لجماعة تمارس ديانة خاصة لا يعترف بها
القوم هنا ، وهذه من مناسباتنا الدينية التي نعزل فيها في
جبل (زاراتدولي) .. »

تماسك (جوناثان) كي لا ينفجر في الرجل لن يتكلم
كذلك عن الشرط الجزائي في العقد . لا يريد أية مشكل .
إنه بالفعل تحت رحمة الرجل تماماً ..

« كان بوسعك أن تخبرني .. المرء لا يذهب للتعب

فجأة .. »

- « لا بد من أن يتم التعبد فجأة يا رئيس .. »

على كل حال لم يعد باستطاعة (جوناثان) أن يفعل أكثر من هذا حتى لا يموت بنوبة قلبية . وقد حاول عبثاً إقناع نفسه بأن أسوأ ما في الموضوع قد مر

ومن جديد عاد النشاط إلى عالم التصوير .

في اليوم التالي كان (جوناثان) مشغولاً بالعمل . حين سمع الرومانيين ينهامسون وساد جو عام من القلق . ثمة مشكلة ما لا يعرف ما هي ..

- « هيه ! (إيزاك) ! ماذا هناك ؟ »

دنا منه الفتى وهو يحفف عرقه بمنديل عملاق ، وبصق على الأرض ليظهر اتهمائه وقال :

- « جثة يا سيدي .. »

- « آه .. حصلت الأمر مقلناً .. »

ثم تبه لخطورة ما قاله الفتى . فعاد يستزيده من التفاصيل قال هذا وهو يشير لما وراء الأطلال

- « جثة أحد الكهريبيين الرومانيين . وجدوها صباح اليوم خلف هذا البطل من الواضح أن الوفاة غير طبيعية »

- « وهل طلب أحدكم الشرطة ؟ »

- « إنهم في الطريق . دعني فقط أشرح لك كيف أن الوفاة غير طبيعية . لقد وجدوا ثقبين في عنق الرجل هنا .. »

وأشار إلى عنقه حيث الوريد الودجى وأردف :

- « ثم إن الجثة خالية من الدماء ! »

هنا - كما نتوقع - جن جنون المخرج ، فصاح وهو يمسك بالفتى من سترته :

- « كف عن السحف . ليس لأنا نمثل فيلما عن مصاصي

الدماء تأتي لتقول .. »

- « لنا أم أقل شياً يا سيدي الجثة هي التي تقول »

وهرع (جوناثان) يشق رحم الأهالي الواقفين ليجد بين أقدامهم تلك الجثة التي لم تصدق وجودها ما لم تراها . كانت جدة (جوناثان) قد أصيبت بسرطان المعدة . وكانت تتزف دمها كله من الفم والشرج يذكر وجهها في آخر أيامها حين كان يخاف الدخول إلى حجرتها في درهم هذا الوجه المصفر الذي لو اعتصرتة لما حرحت منه قطرة دم

واحدة . العينان الغائرتان الجحظتان إن المشهد الآن يتكرر لكن ما يجعله مرعباً بحق هو هذان الثقبان في العنق .

هل مصاصو الدماء حقيقيون ؟ نعم هو يعرف أنهم حقيقيون لكن ليس بالشكل الأسطوري الذي تراه في السينم أو تقرأ عنه في القصص . ليسوا وطاويط آدمية تنام النهار وتصحو ليلاً وتموت لو غرس وتد في صدرها هم مرضى نفسيون يحبون مذاق الدم لا أكثر ولا أقل بعض حالات (البورفيريا Porphyria) تحتاج إلى الحديد وتحصل عليه بشكل شنيع فلو أضفنا لهذا ملامح مريض البورفيريا الشاحب ذي الجلد المتسلخ ، والعينين الحمراءوين ، والشحوب البالغ والأسنان المدببة والخوف من الضوء ، لأمكنا أن نعرف من أين ولدت أساطير مصاصي الدماء والمذعوبين

كان الرومانيون يرددون لفظة :

« فامفيرى .. فامفيرى .. »

وهو لم يكن غريباً ولم يحتج إلى عبقرية كي يعرف أنها تعنى (مصاص دماء) . هي تشبه (Vampire) إلى حد كبير ..

الخلاصة أنه كان يوماً عصيباً خاصة حين جاء رجال الشرطة وأجروا تحقيقاتهم مع الجميع أين (أولاف) ؟ لماذا يختفى هذا الأحق كلما احتاجوا إليه ؟

عرفوا أن الكهربائي - الذي يسمونه حسب مصطلحات السينما الأمريكية بـ (الفتى الأفضل Best Boy) - شوهد للمرة الأخيرة ليلة أمس ، وقد ترك رفاقه في المعسكر وذهب إلى الأطلال لماذا ؟ للتبول طبعاً . لا توجد أسباب أخرى هناك دورة مياه هنا لكن هؤلاء الأشخاص يتبعون قدرهم بإصرار غريب ..

هكذا مرت ليلة سوداء أخرى ..

كان (جوناثان) في مقطورته يشعر بأنه بحق ملعون كل الكون قد خرج ليظفر به ويمنعه من النجاح . المصادفات حين تحتشد تجعل الأمر موحياً بعدم الكفاءة . من الناحية الأخرى من المحيط لا يعبأ أساطين الشركة كثيراً بالقصص عن احتفاء الممثل الأهم من أجل عيد ديني لا يعرفه أحد ، ولا عن مصاص الدماء الذي يتسلى بامتصاص فريق العمل .. كل ما يعرفونه هو أن (جوناثان بيكر) فشل مع أول ميزانية ضخمة تمنح له ..

فى الثامنة صباحاً سمع من يدق على باب المقطورة ..

فتح الباب فوجد المساعد الرومانى مع رجل نحيل أسمر له شاربان طويلان شائبان يتدليان على جاتبى فيه إلى أعلى عنقه . وكانت ثيابه مبهرجة الألوان ، وفى قدميه حذاءان برفية على كتفه حقيبة يبدو أنها ثقيلة ، وقد نزع قبعته وضمها إلى صدره احترام

قال له المساعد :

- « هذا الرجل من غجر (التسجاني) إنه من عرفنا منه تلك الطقوس يبدو أن لديه أشياء مهمة يجب أن تعرفها .. »

سمح للرجل بالدخول وهو ينظر فى ريبه إلى شكله العجيب وتبادل نظرة مع المساعد من طراز (ما - هذه - المخلوقات - العريضة - التى - تحضرها - لى -) ، فمط المساعد شفته السفلى بمعنى الاعتذار .

جلس العجري على مقعد خشبى فى وسط المقطورة وبدأ يتكلم بالرومانية ، فراح المساعد يترجم :

- « نحن غجر (التسجاني) كنا خدم الكونت (دراكيولا)

منذ كان يدعى (فلاد الوالاشى) ويعيش هنا نحن نعرف الكثير من الأسرار . لقد منحنا الكونت ثقته . ونحن نعرف منذ زمن أنه يحاول العودة والعودة قد لاحت علاماتها بشكل غير مسبق .. نعرف أنه سيأتينا رجلاً غريباً . وسيكون علينا أن نقيم له بعض الطقوس التى نعرفها من فوق التابوت الذى سيرقد فيه . هذا يعيد له قواه الكاملة . هكذا يتحول إلى (فامغيرى) ويستعيد القدرة على الطيران واختراق الحجب ببصره ، مع القوة الخارقة التى لا يصمد أمامها صامد .. »

فى نفاذ صبر قال (جوناثان) :

- « هل يمكنك أن تختصر ؟ »

قال للعجري بعد ما نقلت له الترجمة :

- « لهذا أرجو أن تلحق بى إلى الأطلال المجاورة الآن هناك ما يجب أن تراه .. »

- « هل يمكن أن ينتظر هذا حتى ينتهى يوم التصوير ؟ »

فى زعر هتف للعجري :

- « لا .. لا .. لا يمكن أن يحدث هذا ليلاً .. »

وهكذا تحرك الرجال الثلاثة عبر الأطلال لم تكن الحركة في موقع التصوير قد نشطت بعد ، لذا لم يسأل أحد أسئلة مربية واتجه الجميع إلى منحدر وعمر يقود إلى حفرة تحيط بها بقايا الحجارة .. حجارة ربما تعود إلى القرون الوسطى أو أقدم حين كان الرومان يحتلون هذا المكان

كانت هناك فتحة في جدار مهدم مد الفجرى يده وراح يبحث حتى أزاح بعض الأعشاب والنباتات التي تسدها وفي النهاية وجدوا أنهم يحدقون في تابوت خشبي رديء الصنع

تعاونوا على إخراجه من موضعه . وهتف (جوناثان) وهو يتحسس الخشب بيده :

« من جاء بهذا هنا ؟ لا يبدو عتيقاً .. »

مد الفجرى أظفاره كالمخالب وانتزع الفطاء كان غير مثبت وفي ضوء الشمس عرف (جوناثان) حقيقة ذلك الحسد المسحى بالداخل . إنه (أولاف) كان نائماً . لا بل كن ميت لا بل كان (غير ميت) .

وعلى شفثيه المستريحتين كانت قطرات من دم لم يجف بعد ..

نعم ليس نعمة هو ..

قال الفجرى :

« كما ترى . لقد عاد بكل قواه . طقوسكم أعادته للحياة . لقد حسبتم أنكم تمثلون لكنه كان بحاجة إلى هذه الطقوس . وهو الآن ينام هنا صباحاً ويجول في المنطقة ليلاً ليظهر بأي عاثر حظ يقابله .. »

كان (جوناثان) يرتجف بالكامل - ومن يلومه على ذلك ؟ - لكنه قرر أن يحتفظ بدور (الرئيس) كما كان (أولاف) يناديه ، لهذا وقف ينظر إلى الجثة وسأل المساعد :

« لا أفهم هل هذا هو الكونت (دراكيولا) ذاته ؟ هل هذا ما تحاول بيعي إياه ؟ »

قال الفجرى بعد ما سمع السؤال :

« لا إنه تجسيد آخر له .. وقد وجدت القبر باستعمال عيني . إن الطيور لا تحلق أبداً حيث يوجد قبر مصاص دماء .. »

« ولماذا لجأ لهذه الحيلة ؟ كان بوسعك أن تجد من يقوم له بهذه الطقوس بدلاً منا ؟ »

« لم يكن ليجد من يقبل ، وما كان ليجد سبيلاً للدخول

إلى القلعة من دون مساعدتكم في ذلك الوقت كانت قواه
لم تتطور بعد .. كان بشرياً عادياً .. «

- « ولماذا تخبرني بهذا كله ؟ لقد حصلنا على الطقوس
منك .. أي أنك في صفه .. »

- « كنت مرغماً على هذا أما الآن فلن أحمل على
رأسي دم الضحايا الذين سيهلكون . إني أعترف بما فعلت .
وأطالب بتصحيحه .. »

- « ولماذا لا يبيت في القلعة حيث تبوته ؟ »

- « لأن الزحام شديد بالداخل . وهو معرض طيلة الوقت
لمن يفتح التابوت من أجل التصوير . »

وساد صمت ثقيل لا يقطعه إلا صوت أنفاسهم وصوت
ذباب يحوم لا تعرف من أين أتى ..

في النهاية قال (جوناثان) مطرقاً :

- « نتحدث عن إصلاح الخطأ .. كيف ؟ »

فتح العجوزي حقيقته وبسطه - كما يفعل بتع فخور يعرض
عليك ما تحبته من تحف - أخرج مطرقة ووداً وسكيناً هائلة
الحجم ثم نظر إلى (جوناثان) متسائلاً

هتف (جوناثان) في ذعر :

- « أنت لن تفعل هذا ! هذه جريمة قتل ! »

قال للمساعد في رفق :

- « سيدي . لا توجد محكمة في العالم تتهم هذا الراقص
في التابوت بأنه مصاص دماء . لكننا نعرف ذلك . كنا
نؤمن بذلك الآن . هل لديك شك في حقيقة ما رأيته ؟ »

هز (جوناثان) رأسه عاجزاً عن الإجابة بنعم . عاجزاً
عن الإجابة بلا ..

- « سيدي .. هذا هو الحل الوحيد .. »

هتف (جوناثان) في رعب :

- « لن أفعل هذا .. لماذا لا يفعله هو مادام مستريح
الضمير ؟ »

- « إنه مستريح لضمير . لكنه حسب أنك مهتم بمعرفة
ما حل بعمثك الأول . إنه ميت يا سيدي وقد دفن نفسه
بأنفعل . لن نفعل أكثر من أن نصحح مسار الطبيعة
ونريجه للأبد .. ولن يعرف أحد أنه فعلها »

صرخ (جوناثان) وهو يدير ظهره :

« أنتما مجنونان .. »

وسمع من وراء ظهره مساعده يقول في تودة :

« نحن في (ترنسلفنيا) و (ترانسلفنيا) ليست (لندن) .. »

نفس الكلمة التي قالها الكونت (دراكويولا) في قصة (ستوكر Stoker) الشهيرة ..

وسمع صوت شيء يندق على الوند . ثم سمع صوت العظام وهي تهشم واللحم وهو يتمزق . كان هذا مريفاً لعل الصوت كان أشنع من المشهد ذاته . لهذا راح يركض نحو المقطورة وهو يندأ لأذنيه ..

ظل ليلة اليوم في المقطورة لا يغادرها ، زاعماً أنه متوَعك ..

لكن مشاهد النهار لم تفارق خياله ..

وعند منتصف الليل سمع من بطرق على الباب فهتف أن ادخل . كان هذا مساعده الشاب (إيزاك) وقد بدا راضياً عن نفسه والحياة برغم كل شيء

روايات مصرية للجيب .. ما وراء الطبيعة

قال له وهو يجلس على المقعد الخشبي :

« لقد أرحناه يا سيدي .. ثقي من هذا .. »

لم يستطع (جوناثان) للتخلص من فكرة أن هذا الفتى قطع رأس رجل وغرس وتدًا في صدره هذا الصباح بالذات . وبرغم هذا هو هادئ مرح . سأله دون أن ينظر له :

« هل دفنتموه حيث كان ؟ »

« نعم .. لكننا حشونا فمه بالشوم لا بد من هذا .. أحياناً يحرقون الجثة لكن هذا كان سيلفت الأنظار .. »

ابتلع (جوناثان) قرصاً من المهدئ وقال .

« جميل . جميل . لقد بحثنا عن ممثل الكونت (دراكويولا) وجدنا واحداً بارعاً . ثم اتضح لنا أنه مصاص نماء فعلاً . وأتينا أعطيناه قدرة غير محدودة بسبب حماستنا البلهاء في التصوير .. »

« يبدو هذا يا سيدي .. »

ثم بعد قليل تساعل المساعد في كياسة :

« هل ستبحث عن ممثل آخر ؟ »

صاح في هياج وهو يضرب المنضدة بقيضته :

« ألم تفهم بعد ؟ لا أريد كلمة واحدة عن هذا الفيلم اللعين ! لقد انتهى عملي هنا ! انتهت قصتي ومستقبلي ! غداً ساجد عملاً في مفصلة سيارات أو موزعاً لصحف ! ولا كلمة عن الفيلم اللعين ! »

قال المساعد في رفق :

« لا أريد أن أصايقتك يا سيدي لكن هناك فرصاً أخرى لقد أجاد العجري تصور ما حدث لكنه أخطأ في بعض التفاصيل الأمر لم يكن متعلقاً بمحاولة الكونت (دراكولا) للعودة الأمر يتعلق بتلك العبءة التي كان العجري يحتفظ بها .. »

وطوح بالعبءة لتسقط عند قدمي (جوناثان) وأردف بلهجته ذات الطابع الشرقي أوروبي :

« كنت هذه عباءة مصاص دماء فعلاً ويبدو أنها كانت تحوي لعنة ما العجري لم يكن يعرف وقد تخلى عنها لي لانه يجهل خطرهم فقط كان يشمر منها ولم يجسر على تحريتها قط حينئذ جاءك (اولاف) لم يكن مصاص دماء لم يكن متآمراً كان مجرد شخص له منظر فريد ويريد ان يمثل في فيلم أمريكي لكنه بدأ يتصير مع ارتداء العبءة لقد بدأ يتحول بالتدريج ، ولم يكن

لذلك الطقوس أي دور . برغم أنها جعلته يفتح غطاء التابوت بقواه المخيفة والآن انظر لي يا سيدي »

رفع (جوناثان) وجهه ليرى أشنع منظر راه في حياته لقد تغير وجه (إيزاك) بالكامل هل كانت أذنه بهذا الطول ؟

منذ متى كن له ديان يوشكان على تمزيق شفتيه السفلى ؟

قال (إيزاك) وهو يبتسم تلك الابتسامة القذرة التي تجيدها المصوغ :

« اتا جريت العبءة أمام المرأة على سبيل الدعابة ومن هنا عرفت السر وقد اكتمل تحوئي الليلة »

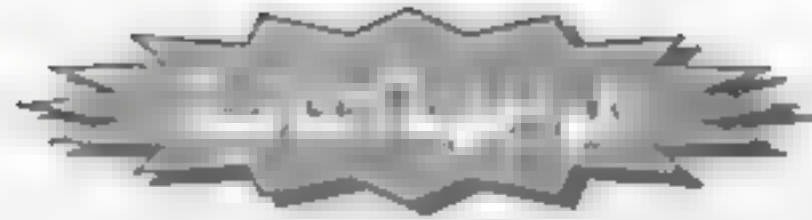
وثب (جوناثان) فوق فراشه وراح يركى بصوت مبجوح متقطع .. لقد فقد القدرة على الصراخ ..

قال (إيزاك) :

« بدأت اليوم بالتخلص من منافس لي لكن لا تخف يا سيدي . سوف أتركك وأبحث عن دماء أخرى أحب أن أبدأ حياتي كـ (فاميري) بدماء رومانية خالصة لكنني أتصحبك ألا تلعب بالبار كثيراً وأنصحك كذلك بالتخلص من هذه العبءة . إنها لعنة تتوارثها الأجيال . فلا تدع أحداً يعيشها من بعدى ! »

ورفع (جوناثان) عينيه المخصلتين بالدموع ، فلم ير
(إيزاك) ..

فقط خيل له أن وطواطًا يحلق خارجًا من المقطورة .
من يدري ؟ لربما كان واهمًا في هذا . إن تأثير الدموع
على البصر قد يكون غريبًا ..



ابن (أبراكساس)

مد (مازن) يده ففتح الواجهة . وتناول منها العبادة السوداء ، وفردها على ساعده كما يفعل تاجر الجلود بقطعة من جلد ثعبان ، وقال فى تأمل أقرب إلى التلذذ .

- « ما رأيك ؟ هل تصدق هذا ؟ »

أجبت عن سؤاله بسؤال آخر كما يفعل أى لص احتراف التحقيقات فى المخفر :

- « وكيف عرفت أنت هذه القصة ؟ »

- « أنا لست من الهواة يا دكتور (رفعت) قلت اتسى قصبت حياتى بحثاً عن الحقيقة . وما هى ذى الحقيقة »

- « تبدو لى حقيقة غريبة مغبرة نوعاً .. »

قال ضاحكاً :

- « هل نجرب ارتداء هذه العبادة ؟ ها هوذا السؤال مثل أمامك . إن تحولت إلى مصاص دماء فالحقصة صلاقة . وإن لم أتحوّل فهذه أكذوبة أخرى لا أنكر أن الموضوع قد اكتسب صبغة غير مريحة ، وأن هذه العبادة صارت تزن أطناناً بكل ما اكتسبته من هالة نفسية »

- « وهل جرّوت أنت على ارتدائها ؟ »

ابتسم ابتسامة غامضة ، ولم يرد .. فقط اتجه إلى الواجهة الأخرى .. وقتت لنفسى : لقد ارتدائها . بالتأكد لارتدائها .. لكن ماذا كانت النتيجة ؟

وأمام الواجهة الثانية وقف لحظة ، ثم أشار إلى محتواها . هناك جنين كامل محفوظ فى سائل الفورمالين .. لا مشكلة هنا . الأمر أقرب إلى متحف الطب الشرعى فى أية كلية طب بها متحف طب شرعى لكن لا بد أن هناك قصة ما تحيط بهذا الجنين

وقال بنفس الصوت الخفيض الغليظ :

- « النوع التالى من الرعب هو رعب ستعرف طرازه على الفور .. »

قال (مازن) :

حين تزوجت (هالة) كانت سعيدة بحق ..

(هالة) مهندسة شابة رقيقة من الطراز الذى لا يعتقد أن فى العالم أى نوع من الشر وأحياناً كان يخطر لأهلها أنها

تعالى نوعاً خاصاً من الغياء . تكلمها عن المذابح . عن السرقات . عن خيانة الأصدقاء فينقلص وجهها في ألم غير مصدقة . ثم تنسى الموضوع بعد ثوان وتنتق بالجميع كما كانت يوماً ..

بالنسبة لأبيها كان هذا نوعاً خاصاً من التخلف العقلي الذي لا يمكن قياسه علمياً . كان مستشاراً متقاعدًا وقد عاش حياة حافلة رأى فيها النفس البشرية في أشنع حالاتها . باحتصار لم يعد يثق بأحد على الإطلاق ، وأعيش أولاده في فوقة بعيدا عن عالم الواقع تمامًا . لكنه الآن صار في حاجة إلى أن يخبرهم بتك الحقيقة : إنه عالم قاس شرير ذلك الذي ينتظركم بالخارج ..

لكن دروسه ظلت عميرة على أفهام أولاده . وكان هذا يؤثر جنونه ..

ذات مرة سمع باب الشقة يفتح ، فنظر إلى المنبه المعصىء بجوار الفراش ، ليجد أنها الرابعة صباحاً . من يفتح الباب في الرابعة صباحاً ؟ أيقظ امرأته في هلع ، وركض ليبحث في الشقة . هنا كان الخبر المروع .. إن (هالة) أمة الخامسة عشرة .. وقتها - ليست في الدار ..

هبط في الدرج يبحث عنها حافى القدمين وبميامته .

خرج إلى الشارع العظم الساكين وراح يناديها إن قلبه يتمزق جزعاً .. يتمزق فعلاً ..

في النهاية وجدها راكعة على ركبتها على الإفريز تنظر تحت سيارة واقفة . لقد فرت قطتها من النافذة كعادتها في الأشهر الماضية . لكنها لم تعد حتى الساعة . ومضى هذا أن مكروها أصابها ..

تمالك أعصابه وراح يرتجف كورقة . ثم مد يده تحت السيارة فلمست كتلة انحاء الساحة العاضية . حملها في عن عاتق إلى نزل وهو لا يصدق . فدهش لحامسة عشرة من عمرها تغادر الدار في الرابعة صباحاً من أجل قطعة . أي جنون ! أي غباء ! أي بعد عن الواقع !

مشكلة هذه النهاء أنها لا تعرف أي خطر هناك في الشوارع العظيمة . تعتبر المعتم كنه مكاناً آمناً مناسباً للأطفال والفتيات والقطط ..

كبرت (هالة) وجاء ذلك الذي يعتقد أنها ممتازة لهذا ستكون زوجة صالحة له هو بالذات . إن الرجل يبحث عن أفضل واحدة لمجرد أنه هو ، ولا يفكر لحظة إن كان هو الآخر أفضل واحد أم لا . فلابد أنه كذلك

لكن (كمال) كان هو الأفضل فعلاً

كان (كمال) مهندساً ، وكان على درجة من الثراء سمحت له بأن يدرس في الخارج . رجل وسيم هو ، وعلى درجة من الثراء والتعذيب . لهذا كانت محاولته الأولى للزواج هي الأخيرة ، لأنه ما من أسرة بكامل قواها العقلية ترفضه . وبالنسبة للأب بدا له الغنى بلا غبار عليه . فقط هو يهوى المراح أكثر من اللزم ، لكنه بالتأكيد يمكن أن يحل محله في رعايتها ..

وكما اتفق الجميع . كان سيتزوج ثم يأخذ زوجته معه إلى ألمانيا الشرقية حيث يدرس ويعمل .. في تلك الأيام كان كل مهندس يذهب إلى ألمانيا الشرقية يوماً ما .

وتم كل شيء دموع كثيرة ذرفها الجميع وهي تصعد سلم الطائرة بثوب الرفاف مضيئة لمحة درامية ما على المشهد وكان عليها للمرة الأولى في حياتها أن تبدأ وحدها ..

لم ينقص ليلة الرفف الأولى خارج الوطن إلا شيء واحد .. شيء بسيط في الواقع ..

في السيل كانت تشعر بظماً شديداً ، فلهص زوجها المحب

يحضر لها كوباً من الماء من المطبخ .. وأثار دهشتها أنه يتحرك بسلسلة تامة في الظلام لم يتغير مرة ، ولم يرتطم بشيء مرة .. لا غرابة في هذا ، على كل حال لو كان هذا بيته .. لكنها شقة استعارها من صديق مصري ، إلى أن يفرغ من استكمال شقة الزوجية . بعارة أخرى كان يجرب المشي هنا لأول مرة ..

وفي الصباح كان في الحمام ، فجريت بنفسها أن تغض عينيها وتمشي في المسار ذاته فاصطدمت بألف قطعة أثاث وكانت تحطم عنقها ..

فجأة شعرت بأنها تعوص بين ذراعين قويتين . فأجفلت وفتحت عينيها لتجده ينظر لها في ثبات صاكما :

« ماذا تحاولين عمله ؟! »

شهقت في رعب .. ثم ضحكت وقالت :

« أحاول أن أعرف كيف تمشي في الظلام الدامس في هذه الشقة .. »

اعتصر أذنيها في رفق كأنها طفل شقى وقال :

« ملاك صغير هو أنت لهذا اخترتك لهذا همت بك حياً .. »

كانت هذه إجابة كافية على كل حال ..

أحببت (برلين) وأجادت اللغة الألمانية إلى حد ما .
وصارت لها صديقتان أو ثلاث ..

الأولى تدعى (اتريكة) والأخرى (هيلدا) وكانت
الأولى تعمل مع زوجها من قبل أما الأخرى فحارثتها في
البنائية التي تسكن فيها . صديقتان لطيفتان جداً لو طلبت
رأىي ..

الحادثة الثانية كانت (هيلدا) طرفاً فيها

كانت (هالة) وزوجها جالسين يتناولان طعام الغداء
طعاماً صامعياً برعت هي في إعداده وأحبته صديقتها .
هنا سمعنا صوت صراخ يمرق السمكون كان اتياً من
الشقة المجاورة ..

وثبت زوجها وبأربع خطوات واسعة كان عند باب الشقة
المجاورة .. فتحه واتدفع إلى الداخل ..

(هيلدا) نفث على باب الحمام تعوي كالثديبات الحمام له
بعدة من الأرجح انمصر تتراقص من ورائه تلك الزهرة
البرقانية المحيطة لا يحتاج الأمر إلى أن تكون عبقرية
كي تعرف أن هناك حريق وأن هناك شخصاً بالداخل

نظرة تبادلها الجميع فهتفت (هيلجا) وهي تركل
الباب بمناقها بصف :

- « (كارل) بالداخل ! لا بد أنه سخان الغاز ! إنه
لا يرد ! »

هتفت (هالة) والطعام الذي كانت تمضغه بتساقط من
فمها :

- « للمطافئ ! لماذا لا ؟ ماذا عن ؟ »

لكن زوجها كان لمصرع من المطافئ وأكفاً أدار المقبض
بعتف فافتتح . ثم - قبل أن تفهم ما يحدث - اجتاز الباب .
وبعد دقيقة كان قد غاب وسط أسمة الذهب

- « يا لحمي ! انتظر ! أنت لن .. »

قبل أن تكمل العبارة كان يخرج من وسط الذهب سليم
تسماً وهو يحمل الأخ (كارل) بين ذراعيه لم يكن (كارل)
قطعة صغيرة خفيفة الوزن . لكن (كمال) أيضاً لم يكن
ضعيفاً لقد شق طريقه إلى الخارج ، وهتف في حنون :

- « ماء !! أريد ماء ! »

والتقى بالزوج على الأرض .. كان هذا الأخير ما زال بشيبه
كلملة لحسن حظه . لا بد أنه لو قد قسطن وتأهب لنزع ثيابه حين
حدث ما حدث . وكنت الثياب كلها تحترق في حماسة غريبة .

هرعت الزوجة من المطبخ حاملة دلوًا من الماء تساقط
أكثره على الأرض . وأفرغته مرة واحدة على زوجها .
وسرعان ما تحولت ثيابه إلى عجينة من الرماد المبتل

« أطلبى المظلم الآن .. »

وحينما حاء رجال الإطفاء أخيراً أثبوا على (كمال) بشدة

بينما وقفت (هالة) ترمقه في انبهار . كان يقف لامعا
عريض المنكبين . منهكاً بشكل رجولى . تفوح منه
رائحة الشياطين وقد تفحم نصف شاربه ، لكنه - كذا خطر لها -
كان رائعاً . الرجال يبدون رائعين حين تلوح عليهم
علامات المعاناة والصراع .. إنه السر المصري الذي جاء
عبر البحر المتوسط ليقبض ابن الرايين . كذا فكرت وهي
تأمله في الفتان تام ..

رباه ! لكم أنا محظوظة !!

قال (ماتن) :

في اليوم الذي تلا عودة (كارل) من المستشفى أصبر
الزوحان على دعوة (كمال) و(هالة) إلى بيتهما للاحتفال ..
وقد قبلا على الفور . كان الجو العام - كما لك أن تتوقع -
هو مزيج من الامتنان من جهة والفخر المذهب من جهة
أخرى ..

وقال الزوج وهو يتحسس الضمادات على أعلى صدره :
« سخانات الغاز هذه لا تؤدي أى عمل إلا أن تنفجر
في وجهك . من حسن الحظ أن زوجك كان هنا »

وبدأت للمادية العامرة بالطعام الألماني كريبه المذاق .. لم
يتفق الأوروبيون بعد على ما إذا كان لسوا طعم هو الألماني
أو البريطاني ، لكنهما متقاربان جداً في هذا اللقب الفريد .

وفي المطبخ وقفت (هالة) مع جارتها الألمانية تحاول
أن تكون مفيدة .. الحقيقة أن إجادتها للغة لم تصل لهذا
الحد بعد ، لكنها كانت تحاول جاهدة ، وكان الألمان الذين
يكنمونها يضغطون تلقائياً على كوابح ألسنتهم ليخرج الكلام
لبطناً ولوضوح ..

قلت (هيلدا) وهي تقطع كعكة كبيرة .

- « إن روجك رائع وأراهن على أنك فخور به »

في صديق وحرارة قالت (هالة) :

- « بالتأكيد .. »

- « هل يحبك كثيراً ؟ »

ابتسمت (هالة) في خجل هذه أشياء لا تسأل ولا يرد عليها هذا يشبه سؤالتك (هل ستدخل الحصة ؟) . طبعاً أنت تنمى ذلك ، لكبك لا تملك القرار ولا تملك الإجابة فقط تحاول ..

نقلت (هيلدا) شريحة كبيرة إلى طبق . وقالت :

- « هل هو ساحر ؟ »

- « إنه كذلك .. »

- « أحدثك بالمعنى الحرفي للكلمة . هناك أشياء غريبة لاحظتها في لحظة الحريق أشياء أردت أن أفهمها منه مثلاً كيف استطاع فتح باب الحمام ؟ لقد كان موصداً بإحكام من الداخل كيف احترق الفيران وعاد دون أن يحترق شيء ما عدا نصف شارببه ؟ »

فكرت (هالة) .. حقاً خطر لها هذا السؤال لكن الأحداث كانت متلاحقة لا تسمح لك بإدارة الأفكار في فمك لتحسن تذوقها .. إنه قام بما يشبه المعجزة بل هي معجزة . فهل يقتل من شأنها أنها كانت معجزة أكثر من اللزوم ؟

وهكذا علا إلى غرفة المعيشة ، وإن خطر لها أن الغيرة ليست بالشيء المستبعد حتى على زوجة المائبة . إن الغيرة قد تتخذ شكلاً مخادعاً لا تميزه بسهولة قد تتخذ شكل موضوعية مبالغاً فيها ..

في السوبر ماركت وقفت (هالة) مع (إيريكة) تنتظران دورهما للدفع .. كانت (هالة) مرتبكة لأنها لم تتعامل قط مع (سوبر ماركت) من قبل * وهو سوبر ماركت اشتراكى فقير جداً يشبه محل بقالة مما نراه اليوم ، لكنها لم تر مثله من قبل على كل حال وكانت المبيعات الكثيرة تسبب لها الارتباك وقد اكتشفت أنها وضعت علبتين من اللحم المحفوظ المخصص للقطط في السلة .

قالت لها (إيريكة) ضاحكة :

- « زوجك من هواة أطعمة الحيوانات المحفوظة هذه

(*) لا تنس أننا نتحدث عن زمن قديم .

كما أنه يتنازع كميات لا تصدق من اللحم .. هل لديكما أسد في بيت الزوجية ؟

بدا عليها الارتباك . لا يوجد لديهما أى حيوان فى الدار . فمتى وكيف ابتاع زوجها هذه الأشياء ؟

قالت (أنريكه) وقد وقفت أمام الصراف :

- « كان يشتري أشياء غريبة جداً قبل قدومك إلى هنا كنت أتسوق معه من حين لآخر وكان يقول إن هذه الأشياء للكلب .. »

- « لم يكن لديه كلب قط لا الآن ولا قبل قدومى . »

ابتسمت (أنريكه) فى رفق ، وهزت رأسها بمعنى أن الزوجات قد يعرف كل شيء فى العالم إلا لزوجهن وهكذا توارث هذه الذكرى لتتخذ مكانها على رف الأرشيف الأرشيف الذى سيفتح فى لحظة معينة كي يجيب عن أسئلة عديدة

- « لم يكن عندى كلب قط هذه المرأة تخرف »

قالها فى ثقة مبهيا هذا الجزء من المعقشة . وراح يتحمس شاربه فى عصبية وهو لا يرفع عينيه عن الجريدة

قالت له فى كياسة :

- « إذن ماذا نفعل بكل هذا اللحم الذى تشتريه ؟ »

لم يرفع وجهه عن الجريدة وقال بنفس اللامبالاة :

- « لم أشتري لحمًا بكميات ، لكن لو فعلت فما المشكلة فى إنسان أكل ؟ لاحظنى أننى لم أفعل هذا قط منذ جئت إلى هنا .. »
- « هذا حق .. »

مع امرأة أخرى كانت هذه الإجابات - التى لا تسمن ولا تغنى من جوع - غير كافية ، لكنها بالنسبة لـ (هالة) البريلة التى تعتقد أن أفظع شخص قابلته فى حياتها هو نفسها ، كانت إجابات مقبلة جداً وكافية جداً .

وهكذا جلست تشاهد التلفزيون شاعرة برضا تام عن الحياة بدأت تكتب خطاباً لأمها تحكى فيه كم هى سعيدة . كم هى راضية .. كم هى محظوظة ..

إنها نعمة الآن .. ظلام دمس . هوء محبب . شعر بتفلسه المنتظمة بقربها .. به ينهض . إلى أين ؟ لا شك إلى الحمام تريد أن تتكلم لكنها واهنة جداً ومفككة الأوصال جداً هل هذا صوت باب الشقة ؟

نعم إنه يفتحه .. لكنها لا تريد النهوض .. لا ترغب في النهوض . إنها تنزلق من حين لآخر إلى ما (خلف جدار النوم) كما يقول (لافكرافت Lovecraft) ثم تعود إلى ما أمامه حلم غريب هناك ضيوف . هناك حفل .. مادية . كل شيء جميل وهي مسرورة ، فيما عدا تفصيلاً بسيطاً . إنها هي الوجبة الأساسية لهذا الحفل .

الضيوف هم (هيلدا) و (أنريكة) وآخرون .. زوجها يقف وسطهم يقطع أوصالها بالسكين ، ويقدم لكل واحدة قطعة في طبقها المخيف ها أنها راضية . أنها مسرورة . أنها ترحب بمن يأكلونها كأنها ربة بيت حريصة على إرضاء ضيوفها ..

ثم تعود إلى ما أمام جدار النوم فتسمع زوجها يتكلم مع أحدهم من هذا ؟ من هو ؟ ثم تنزلق من جديد خلف الجدار لتعاود الحلم .. ثم .. لا شيء ..

إنه الظلام الدامس هذه المرة ..

في الصباح لم تكن تشعر بأنها على ما يرام .

ذهب زوجها إلى العمل ، على حين حلست هي أمام التلفزيون تشاهد برامج الأطفال . خطر لها أن تتناول الإفطار لكن الفكرة جعلت العصارة الحمضية تصعد إلى أعلى مريئها .

هل هي حامل ؟ ارتجفت لفكرة .. بالنسبة لها كانت هذه آخر فكرة ممكنة في العالم .. طفل حي يصرخ ويكس ويرضع يخرج من أحشائها هي ؟ هذا نوع من الخيال العظمى لا شك فيه ..

دق جرس الباب ففتحته ..

على الباب كانت جارتها (هيلدا) . وهي كما نعرف لا تعمل هي الأخرى .. هكذا يبدأ حفل الزوجات الذي يتميز بالنميمة كطقس أساسي . لم تكن (هالة) من الطراز الذي يشكو زوجها . أولاً لأنها لم تجد فيه عيوباً حتى الآن . ثانياً لأنها ليست من هذا الطراز .. يمكن أن تجلس لمتدحه وعينها متورمة زرقاء من لکمه ، أو وهي تضع قطعة ثلج على خدها لتخفف من آلام صفعته لها

كانت جلسة طويلة عرفت فيها كل شيء عن عادات (كارل) وطباعة . عن طفولته ومراهقته وأمراته

في وسط الكلام قالت الصديقة الألمانية بشكل عابر .
- « لا أحب التدخل فيما لا يعنيني لكن ما سر هذه الزيارات الليلية ؟ »

- « زيارات ليلية ؟ »

- « هؤلاء القوم الذين يأتون بعد الثانية صليحاً لدركم .. إننا

سمعهم اعترف أنهم لا يحدثون صفحا لكن هذا غير مريح خاصة أنني لمحت وحوهم من فرجة الباب لا يوحى مظهرهم بالراحة أبدا .. »

فتعريده عبرت ظهر (هالة) وهي تسمع هذه الكلمات ..

هل هذا صوت باب الشقة ؟

نعم .. إنه يفتحه .. ثم تعود إلى ما أمام جدار النور فتسمع زوجها يتكلم مع أحدهم .. من هذا ؟ من هو ؟

لم تكن تخرف إذن .

بالتفعل هناك من زارهم ليلا وهو يحرص على أن يزيل أي أثر لزيارته بعد رحيله يزيله بدقة لا توصف ، لأن الشقة في الصباح تبقى كما هي ..

ولكن كيف ولماذا ؟ أشد ما يثير الضيق في هذه الأمور أن تشعر بأنك آخر من يعلم بهذا شعرت بمقت شديد لـ (هيلدا) وتمنت لو تخرس قليلا ..

فأنت لها (هيلدا) وقد نمت حيرتها الواضحة

« وصبح أنت لا تعرفين شيئا عن الموضوع على كل حال يجب أن أقول إنك تتقين بزوحك أكثر من اللزوم . ولو كنت مكاث لفنشت حبيبته بعيدة ولطلبت ساهرة أنتظر »

« سأسأله .. هذا سهل .. »

« ما دام فكر حتى الآن يا صغيرة فلسوف ينكر إلى الأبد » وصممت (هالة) وراحت تراقب المرأة على الشيشة وهي تعد نوعا من الحساء تتكلم لكي لا تفهم حرفا من كلامها

لكنها لم تسأله عن شيء ..

للمرة الأولى في حياتها تصرفت بحيث وكتمت .

إلا أنها لم تصح قط في الليل كي تحضر هذه الريسة العنصرة يوما كنت تمام كنوح الخشب إلى أن يشرق النهار ، وعلى كل حل كنت قد بدأت تنسى تلك الكلمات المسمومة التي سمعتها وعلمة حرصت على أن تتجنب لقاء (هيلدا) أو التعرض معها . هذه المرأة على نساء حل من الخلاف مع زوجها . وبالتأكيد صممت على أن تهدي للوجود هدية هي المزيد من المقت ..

مرت الأيام وجاء اليوم الموعود ..

لقد كانت تلاحظ ذلك الانتفاخ في بطنها لكنها لم تعرف اهتماما بالتقدير الكافي ثم صار الأمر حقيقيا لا ريب فيه ذهبت إلى المستشفى وهناك حسوا بولها وأحبروها بأنها حامل

هذا يفسر كل ما كانت تمر به من مقت للطعام ومن

حموضة ، ومن قىء صباحي ..

إنها ستصير أم هي الطفلة الحانعة ستصير أما لطفلة خالفة أخرى ..

حين عاد (كمال) من العمل . راحت تلعب دور الزوجة اللطيفة في الأفلام المصرية .. لدى مفاجأة لك .. اليوم شعرت بتوعلك ذهبت للطبيب . قال لى .. إنك .. بعد أشهر .. سوف

قاطعها في نخل صبر :

- « حامل ؟ أعرف هذا . لا داعى لهذه المقدمات . »

شعرت بخيبة أمل . كانت تتوقع أن يكون رقيقاً ويقبل بلامتها هذه . وأدرك أنه جرحها فقال فى رفق

- « يا ملاكى لا يحتاج الأمر إلى طبيب . عروس شابة تقطع منها النطم وتقرء يومياً ويكبر بطنها يوماً بعد يوم فهل هذه مجرد غلطات ؟ »

قالت لنفسها إن كلامه منطقي بلا شك ، وإن كانت تفضل أن يكون أكثر شاعرية ورقة ..

على كل حال جلست تكتب لأهلها هذه المفاجأة الصاعقة ، وبرغم كل شيء لم تنكر فى خطيبها لحظة أنها سعيدة . سعيدة أكثر من اللازم ..

قال (مارن) :

بعد أشهر كتبت فى السوبر ماركت مع (إريكه) .. وكانت تتباعد ما يلزم من ثياب للفترة القادمة .. لقد اشترت ثياب الوليد وبعض الألعاب لحجرة نومه ، وكانت تسأل صديقتها باستمرار عما يخطر ببالها . إن (إريكه) أم مطلقة .

لكن (إريكه) لم تكن على ما يرام . كانت شاردة ترد بإقتصاب . وفى مرة من المرات خيل لها أنها ترى دمعة فى عينها ..

فجأة قالت لها ونظرة غريبة فى عينها :

- « (هالة) . نريد أن نتكلم فى مكان منعزل »
سقط قلبها فى قدميها ، فهي لا تحب أبداً هذه المقدمات .. لكنها وافقت ..

وفى إحدى الكافريات الهادئة طلبت (إريكه) لنفسها قهوة وابتلعت قرصاً مهدناً أخرجه من حقيبتها ، ثم أشعلت نفاثة تبغ - فهي من هذا الطراز - وقالت فى تودة :

- « هل قرأت قصة (طفل روزمارى Rosemarys Baby) ؟ »
هزت (هالة) رأسها أن لا . بدا لها الاسم مألوفاً . فارتدت (إريكه) :

- « هذه من قصص الرعب الشهيرة جداً . وقد تحولت إلى فيلم بالغ النجاح أخرجه (رومان بولانسكى) .. إن القصة تدور حول زوجين احتارا لسكنهما بناية تعج بالسحرة .. هما لا يعرفان ذلك لكن الزوج ينفذ إلى الفخ ببطء شديد . وهكذا تكتشف الزوجة أنها حامل لكن ليس من زوجها بل من الشيطان ذاته . وإن الطقوس تقام كل ليلة حول جسدها الغائب عن العالم بفعل المخدر وفى النهاية تنجب تنجب ابناً للشيطان ! »

استعيت عيب (هالة) رعباً لماذا تخبرها بهذا الكلام ؟
قالت (إنريكة) وهى تنفث الدخان بكثافة :

- « الحقيقة هى أن هذا الميساريو يتم تطبيقه معك حرفياً .. إن (أبراكساس) يتردد على دارك كل ليلة ومعه أتباعه .. إن زوجك العزيز يقوم بتحديدك كل ليلة بقرص من المنوم يدسه لك مع العصير الذى تشربه بعد العشاء »

- « (أبراكساس) ؟ »

- « نعم (أبراكساس) وهو من شياطين العالم السفلى . أنت حامل منه يا صغيرة .. »

هبت (هالة) وفعلة فى عصبية وأوشكت على الصراخ ، لكن يد (إنريكة) المعروفة قبضت على معصمها بقوة :

- « لا داعى للهستيريك . لم تأت هنا كي تلفت الأنظار »

جلست (هالة) صورة مجسمة تلعب عولاهة فلزفت (إنريكة) :

- « أنت حكيت لى عن زوجك كيف يمشى فى الظلام بلا عائق .. كيف احترق النار والدخان وأنفذ (كارل) أنا حكيت لك عن كميات اللحم التى يبتاعها ألم تلحظى ذلك ؟ ألم تلحظى أنه متكامل إلى حد يصعب تصديق أنه بشرى ؟ الحقيقة أنك حمقاء لقد لمحت لك مراراً وكذا فعلت (هيلدا) إلى الحقيقة لك لا تريدون الفهم الحقيقة أننا من أتباع هذه الجماعة السرية التى تحاول إعادة (أبراكساس) إلى العالم ، ولتى زوجك عضو فيها لكنك بريئة جداً ظاهرة جداً ، وبصراحة لم تعد واحدة مما ترغب فى أن تدفعك أنت بالذات لهذا الدور القذر . لهذا أنصحك بشيء واحد ، فتشلى حاجياته جيداً . ابحنى مراراً هذه الليلة بالذات لا تشربى العصير يجب أن تعرفى من يدخل بيتك ولماذا . فإن كان كلاماً صحيحاً فعليك بالفرار بأسرع وقت ربما تولت سفارتكم حل هذه المشكلة »

ثم أفرغت باقى قدح القهوة فى فمها ، وأخرجت ورقة مائية تستها تحت اللبى ، وغارت الممكن من دون كلمة واحدة

لو أن (إنريكة) فجرت لففت تحت المنضدة ، أو أوصلت سلكاً كهربياً عالى الجهد بأصابع قدميها وأولجت الفيشة فى القابس ، لما أحدثت كل هذا التأثير لى (هالة)

كانها ثعلبة عادت (هالة) إلى دارها . احتاجت إلى وقت لا بأس به حتى تجد المكان ..

دخلت الشقة شاردة . ظلت تدور حول نفسها ساعة على الأقل وتمشي من غرفة لأخرى . فى النهاية وجدت أنها تتجه كالمنومة مغاطيسياً إلى غرفة مكتب زوجها .

وقفت وراء المكتب لحظات ، ثم فتحت الدرج الكبير .. إنه يضع فيه المفتاح الذى يفتح الأكراس الصفرى . هى تعرف هذا وهو يعرف أنها تعرف ، لكنه يثق بها ويعرف أنها أظهر من أن تتسلل لتفحص أسرار .

أخرجت المفتاح وعالجت الدرج الأول

انفتح ..

لا شيء ..

الدرج الثانى .. به ..

به أشياء تخصها . هذا هو الحورب الذى لا تفهم كيف أنصاعته . هذا هو لبوس الشعر الذى لحتفى فجأة . هناك عدة صور لها . من أين أتى بها ؟ إنها تخصها حين كانت فى مصر . صور من المدرسة الثانوية . لا بد أنه أخذها من أهلها ولم يخبرها . ثمة تمبة صغيرة مصنوعة من القماش المخيط . مامعها ؟ هناك شعيرات على رأس التمية . منتصفة به كثة

شعرها هى .. الحصول على هذه سهل لأنها تحرص على قص الفصلات الزائدة ، وأحياناً تهمل التخلص منها ..

ثمة علبة أقراص كتب عليها (باربيتوريت) .. هى تذكر الاسم . إنه منوم كان أبوها يتعاطاه أحياناً .

هناك لوحة ملفوفة حول نفسها .. فتحتها فوجدت ذلك الرمز المخيف . النجمة الخماسية وحولها كلمات بلغة لا تعرف ما هى ..

لا تفهم أكثر هذه الأشياء . لكن القصة واضحة

- « ملاك صغير هو أنت لهذا اخترتك بهذا همت بك حباً .. »

المهندس المصرى الشاب تورط فى خبيرة مربعة حين ذهب إلى ألمانيا . ووعد جماعته بأن يذهب إلى مصر ليعود بعروس (أبراكساس) . إن ما تراه فى الدرج لغامض لكنه يخبرها بوضوح أنها هدف لعمل سحرى .

فى السماء عاد .. كن ضحواً متألقاً ، أما هى فكانت فى أسوأ حال . لكنها قررت ألا تشير ربيته بأى شكل .

راح يتناول العشاء ويثرثر ، ثم نهض كعادته إلى المطبخ

ليعد لهما العصور للمرة الاولى تعطن إلى أن هذه عاداته
وأنه حريص عليها عاد حاملا الكوبين وبحرص وضع
كوب اليد اليمنى أمامه وحذر هو كوب اليد اليسرى

- « لا أريد أن نصيبك لكنى أطمع فى مزيد من التذليل . »

- « قولى ما شئت قلت الحمل لا فإ لو لم تخشى للذكرة .. »

- « نسيت إحصار العاكهة من الشلابة فهل جلبت لى
بعضها ؟ »

هكذا انصرف ، وهكذا وجدت وقتا كافيا كى تتخلص من
العصير أين أين ؟ المرعبة الموصوعة على المضدة

فى اللحظة المناسبة قبل أن يعود ، وحين عاد كان كوبها
فارغا وهى تمسح شفيتها فى امتنان ..

بعد دقائق عشت أنها راحة فى دخول الفراش .

بدا يحلى المضدة من لاطوى على حين اتجهت إلى
الحمام لتفعل وجهه ، ثم دثت إلى الفراش وبعد دقائق
تعالى صوت تنفسها المنتظم ..

لن تتم مهما كان الاعراء فلن تمام . يجب أن تعرف
أنمطها تقتصر السكن تحت نوسدة السكين التى أحبتها
فى الحمام ثم تحت الروب ..

لابد أنها استعدت دكرينك شبيبها كاملا وحيما نظرت إلى

المنبه جوار الفراش . إنها الثالثة صباحا هو يرقد جوارها
ويبدو نائما فى عمق ، وهى لا تجرؤ على أن تتحرك .

الآن ينهض ببطء الآن يمشى فى الخارج . الآن يفتح
باب الشقة ..

هذه هى اللحظة التى تعرف فيها كل شيء

كانت تشهق فى انفعال . ترتجف كورقة لكن اذنيها
مرهتان كقط صغير ..

تسمع صوت أناس يتكلمون بالخارج رجال ونساء
يتحدثون .. زوجها يقول :

- « إنها نائمة لا تنفخوا حذوا راحتكم »

صوت غليظ يقول :

- « إنى ماذا تنتظر أيها البشرى ؟ »

زوجها يقول لصاحب الصوت فى لهجة .

- « أنت سيدى أنت سيدى إن الشرف يغمرنى »

ثم صوت واحدة تبأ إنها هى (هيلدا) ذاتها . تقول .

- « خذوا الحذر .. لقد بدأت تشعر برغبة .. »

الصوت الغليظ يقول :

- « إن البذرة فيها الآن لا ألد يقوم (أبركسيس) بدأ »

الآن كانت تبكى بلا انقطاع وصار جسدها متوتراً كأنه
وتر للفوس ..

الأصوات تدنو والصوت العليظ يقول :

« هلموا يا أبنائي لنبدأ للطفوس .. »

يقول زوجها :

« بالمناسبة هي متيقظة الآن وتتابعنا ' لقد أفرغت
كوب العصير في المزهريّة بينما كنت أنا في المطبخ '
تحسبني لم ألحظ ذلك ! »

إنهم على باب الغرفة الآن ..

إنهم ..

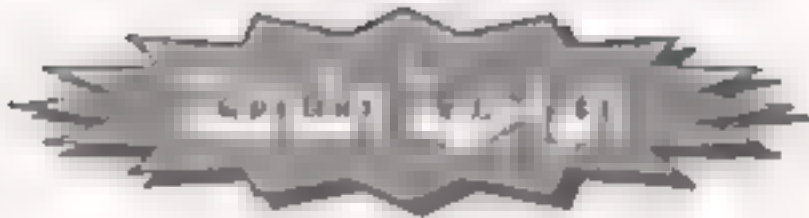
وفي اللحظة التالية وثبت من الفراش نذعت كلهم نحوهم

لم تستطع إلا أن ترى زوجها وسط بعض الناس ، وكان
ينظر لها بدهشة وفي اللحظة التالية وثبت فوقه كقطة
مسعورة ، وغرست السكين في عنقه

غرسه غرسه غرسه وشعرت بالزوج يتهاوى
كالبالون المثقوب أمامها ..

وقد ان تعيب عن الوعي سمعت (هيلدا) تصرخ في هستيريا :

« ماذا فعلت يا حمقاء ' هذه كانت دعابة . مجرد
دعابة ثقيلة ' إن روحك يهوى الدعابات ' »



جارنا

قلت له وأنا أبتلع ريقى الذى جف :

- « دعة ثقيلة جدا ، واشعر ان الروح استحق الذبح فعلا كما أرى ان (هيلدا) و (إريكه) كانت بالفعل تحققان بشدة على الروحة المصرية الهائنة »

هز رأسه موافقا .. ثم أضاف :

- « لكن الأمور ليست بهذا الوضوح دوماً هب يبرز سؤال مهم عن كيف فتح (كمال) مقصص الحمام " لم تكن الدعاية واردة في ذلك الوقت ولم تكن الروحة لتترك روحها بحرق لمحرو ان يكون دعة محكمة هذه نقطة .. »

ثم مد يده إلى النوع الذى حفظ فيه الحنين وهو يقول .

- « لم تحتفظ (هالة) بولدها فى المصححة التى نقلت إليها فقد أحضرت وقد احتفظ حد الأطباء بالحنين إلى أن حصلت عليه أنا .. والسبب هو هذا .. »

وأدرك نوعاء فرأيت بوصوح تلم أن الففرات العصبية للحنين كفت متحورة على شكل نيل كمل نيل كمل مشقوق .

هتفت فى رعب :

- « هل تعنى أن ؟ »

- ١ -

قال (هازن) :

- « فيما بعد عرفت الروحة انقصة كمة فى الحقيقة لم يكن المشى فى الظلام موهبة ما هناك أشخاص يرون أفضل من سواهم فى الظلام بعد موضوع حريق الحمام وشجاعة الزوج الحقيقي لندرة خطر - (هيلدا) أن تبدأ نسح هذه الدعاية التى راقت للروح كان يجب أن يتندر على سذاجة (هالة) واستعدادها لتصديق كل شيء وببطء راحت (هيلدا) و (إريكه) تسمعن حياة الروحة بالكذب عن الروح لم يكن هناك روار يتأون ليلا بل (هيلدا) وروحها طرقا الباب ذات مرة ليكنمهم الزوج ويعرس قصة منقعة عن الرور السيليين لم تكن هناك أقراص موممة ليلا يكنهما اقف (هالة) بذلك فى النهاية عرف الجميع أن (هالة) لن تتناول العصير وستبقى متيقظة ، ولسوف تفتش مكتب روحها طبعا كان كل شيء معدا كى تحدم وحدته هاتم الزيارة المرهوبة لكنهم لم يعدوا أن الدعاية قد تتحول إلى مأساة ، وإن الشخص الرقيق كالروحة يمكن أن يتوحش عندما يقتله الرعب .. »

قال وهو يتنسم :

- ثمة رواية شهيرة اسمها (٣٦ ساعة) للأديب (كارل هيتلمان Carl Hitleman) تحكى عن ذلك الضابط الأمريكى الذى كان يعرف كل كلمات الشفرة وموعد هجوم الحلفاء على ألمانيا . كان من المستحيل أن يتكلم مهما عذبوه وقد عرف الألمان هذا ، لذا خدروهم واختطفوه وأجروا جراحة جعته يتقدم فى العمر شكلياً .. يخلوه إلى مكان أعدوه سلفاً يبدو فى كل شيء كأنه قاعدة أمريكية الأطباء الذين يحيطون به يبدون أمريكيين ويتكلمون الأمريكية بطلاقة . حين أفاق أفهموه أنه فى قاعدة أمريكية ، وأن الحرب انتهت منذ أعوام ، وأنه فقد وعيه وذاكرته ، لكنه الآن بخير . عليه أن يأخذ راحته

- « ثم بدأ العلاج النفسى مطلوب منه - على سبيل تنشيط الذاكرة - أن يذكر كل شفرات لقوات الأمريكية فى الحرب متى كان الهجوم أين ؟ إلخ . بالطبع تكلم الرجل .. لكنه فيما بعد اكتشف الحقيقة لأن جرحاً كان فى إصبعه منذ أيام ، ومن المستحيل أن تنتهى الحرب ولما يشف هذا الجرح بعد هكذا صار عليه أن يبرهن على أنه اكتشف الخدعة مبكر وأنه كان يحدع الازيين من البداية . ويبدو أنه نجح فى ذلك .. »

كنت أعرف القصة جيداً بل رأيت الفيلم عدة مرات ، فقلت له فى عصبية :

- « ما نور هذه القصة هنا ؟ »

ابتسم فى غموض وقال :

- « لعب أتباع (أبراكساس) نفس الدور تقريباً لقد خدعت الزوجة مرتين فكر فى الأمر جيداً ولنسوف تجد أننا على حق .. إن الشبه بين القصتين شديد »
ثم تنهد واتجه إلى الواجهة الثالثة ووقف يتأملها بعض الوقت ، حيث كانت تلك المادة الهلامية المتحجرة . كأنها شمعة عملاقة ذابت تماماً ..

كنت الآن قد وصلت إلى حقيقة مفروغ منها . هذا الرجل ليس رجلاً . سوف تشرق الشمس لأجد أنه لا وجود له لقد عشت هذا الموقف مراراً لكننى على الأكل أعرف أن قصصه حقيقية . ثم كيف أتأكد من نظريتي هذه ؟ لا سبيل إلا أن أنتظر

قال لى بصوته الغليظ :

- « القصة الثالثة تتحدث عن نوع ثالث من الرعب (ماذا يجرى فى تلك البيت ؟) إنه شعور بدائى مخيف لكنه موضوع قصتنا التالية .. »

قال (مازن) :

في العام ١٩٦٥ كان هناك مختبر قرب (كييف Kiev) في الاتحاد السوفيتي ..

كان هذا المختبر يمارس بعض التجارب الغامضة التي لم تتضح طبيعتها كنا في ذلك الوقت في دروة عصر الحرب الباردة والعلاقة بين القوتين العظميين علاقة من الشك المتبادل والمقت وكانت أمريكا لا تعرف بالضبط مدى ما بلغه السوفييت من تقدم علمي ، مما أدى إلى المبتعة في أحيان كثيرة إلى حد أنهم سبوا أحد علماء الفضاء الأمريكيين عما يتوقع ان يجدوه لو وصلوا إلى القمر ، فقال بنقطة : السوفييت طبعاً !

لهذا لنا أن نتوقع ان احدا على وجه التبسيط لم يعرف بكنه التجارب التي تدور في ذلك المختبر ولا طبيعتها . باستثناء أفراد محدودين جدا في الحزب وفي الجامعة ولما كان هذا المختبر قد تلاشى تماما الآن فساتني اعتقد - بلا فخر - أنني وأنت الوحيدان اللذان يعرفان يقين ما كان يحدث هناك

كان المشرف على المختبر استادا سوفيتي يدعى (أنريه

أنسيمفتش خارين) - يمكننا أن نكتفى باسم (خارين) فهو يبدو محبباً للسمع - وكان طبيياً بشرياً قبل أن يهتم بالظواهر الخارقة للطبيعة ، والسوفييت كما نعلم هم أول من اهتم بهذه الأشياء بشكل علمي وحاولوا أن يقتنوها ..

وكان (خارين) كثير السفر واسع العلم ، وقد ارتحل مراراً إلى إفريقيا وأمريكا الجنوبية رأى الكثير جداً وشاهد ما هو أكثر . وفي النهاية عاد إلى مختبره ليطبق ما وجد ..

لكن الحكومة وجدت بعد أعوام أن هذه التجارب لم تقدم شيئاً إنها تستهلك الكثير من الإنفاق الحكومي ولا تبدو لها نتيجة ملموسة ، لهذا قررت أن تغلق هذا المختبر وأن توقف التجارب ..

كانت الصدمة عنيفة على (خارين) ، لهذا اعتكف في داره لفترة ، ثم طلب إذنًا لحضور أحد المؤتمرات في (بلجيكا) وذهب هناك مع مساعده . ثم ذاب تماماً .. لم يعد أحد يعرف أين هو ولا ماذا فعل . هؤلاء القوم حمقى ، فلو سألتوني لقلت لهم إن هذا هو ما سيحدث بالضبط

لم تكن هذه حادثة غير مسبوقه على كل حال كثيرون حاولوا الفرار من وراء الستار الحديدى بعضهم نجح وحصل على حق النجوى السياسى واستغله الأمريكان كبوق دعاية ضد الشيوعية ، وبعضهم فشل عندها لانسمع عنهم ثانية ربما تعامل معهم الـ K.C.B بشكل ينهى أوهامهم هذا هو الأرجح على كل حال

حسن لا أحد يعرف شيب عن الدكتور (خارين) منذ العام ١٩٦٨ وبمرور الوقت لم يعد هناك محتبر قرب (كبيف) .. ولكن القصة لم تنته ..

بالمواقع كانت قد بدأت ..

كان (جان بيير) الصغير يقول : حارت غريب الأنوار .
كان (جان بيير) الصغير يقول : جارنا لا يتكلم كثيرا .
كان (جان بيير) الصغير يقول : جرن لا يحب الأطفال
كان (جان بيير) الصغير يقول : جارنا يبدو ككائن من كوكب (يوريك) ينتظر لحظة الغزو ..

وكان الأب يقول : اخرس يا (جان بيير) ..

هذه طريقة تربوية قُبِتْتْ فعليتها منذ الأزل وقبَّتْ فشل
لكن الأطفال فى السابعة لا يستحيون للطرق التربوية
الناجحة لقد راح الصبى بأحد حوض السمك الكروى
الفارغ ويثبت على رأسه ، ثم يخرج فردا دراعيه فى
الصلة وهو يردد بلا توقف :

- « يا أهل الأرض استسلموا لحيش (يوريك) العظيم
قبل أن نحرقكم بالأشعة الكونية .. »

ويطارده حتى الصفري عبر الحشرات وهى تصرح
فلا ينفذها إلا أن تركض إلى غرفة المكتب حيث الأب يراجع
أوراقه هنا يدخل الصغير فيشب الأب مدعورا ويصرح

- « ستختق يا أحمق !! »

وينزع الحوض عن رأسه ثم يأتى بفرشاة شعر ، ويرقد
(جان بيير) على ركبتيه كى يوسع مؤخرته ضربا

هذه طريقة تربوية ناجحة أخرى والحقيقة ان الصغير
لم يفكر بعد اليوم فى ارتداء الحوض على رأسه من دون
أن تؤلمه مؤخرته ..

إنه (إبريل) حيث كل شيء جميل براق . نظيف .

في الصباح كان الأب يذهب إلى العمل .. يقبل زوجته ويعبر الحديقة إلى حيث تنتظر سيارته الصغيرة الحمراء . فكان أحياناً يلقي جاره وهو يأخذ بريده فيحييه بهزة رأس ..

بالفعل لا يعد السيد (روسكوف) ودوداً على الإطلاق إنه عجوز أصلع الرأس لكن ما بقي منه على جاتبي رأسه يوشك أن يبدو كقطع قطن لصقها هنالك على عجل وله وجه قاتم مكفهر يجعلك تتوقع أن تبدأ يومك بنيزك يهوى فوق رأسك ..

يبدو أنه مهاجر من شرق أوروبا للغة الفرنسية طابع شرق أوروبي لا يمكن أن تخطئه وقد جاء إلى المنطقة منذ أشهر ، وهو لا يتكلم كثيراً .. لا يتكلم على الإطلاق ، ولا يخرج تقريباً واضح أنه يحصل على كل حاجياته من السوبر ماركت هاتياً . وحتى هذه اللحظة لا يبدو أنه كان يمارس عملاً معروفاً ..

في هذه المرة بدا أن الرجل راغب في بعض الكلام . لقد هز رأسه مرة أخرى ..

سأله الأب :

- « يوم جميل .. هه ؟ »

فهز الرجل رأسه من جديد بمعنى أن هذا يوم جميل ..

كانت هذه أطول محادثة ممكنة مع الرجل ، وبدأ للأب أن هذا يوم خارق للعادة .. هكذا انتهى من هذه الثرثرة وأدار محرك سيارته مبتعداً .. إنه (إبريل) حيث كل شيء جميل براق .. نظيف ..

وقف الضيف يرمق السيارة حتى ابتعدت تماماً ثم عاد إلى دله ..

- « أؤكد لكما أنه غريب قادم من الفضاء »

- « لماذا ؟ الغرباء لا يبدوون كذلك دائماً هم يبدوون مثلي ومثلك ، لكن حين يجرحون يسيل منهم دم أخضر . أو يخرج شعاع نور ساطع من الجرح »

- « من الممكن أن يأتي غريب يبدو غريباً . »

كان هذا طبقاً هو (جان بيير) مع صديقه (سيمون)

و(كلود) اتهم ثلاثة شياطين فقط لوقوفهم كيف يمكن لطفل في السابعة أن يكون شيطانياً وكل منهم لديه أخت صغيرة مرعجة لا تكف عن الشكوى ، وأم تصدق الأخت يوماً ، وأب يصدق الأم طبعاً لأنه لا يستطيع أن يفعل غير هذا ..

كانوا يتحدثون عن المعسكين المسيو (روسكوف) طبعاً

وهكذا قصى الصبية الوقت يلعبون أمام باب الرجل محمولين أن يروا في لحظة ما ولما لم يخرج كما هي العادة تمددوا على بطونهم عبر الطريق من الجهة الأخرى ، كما يفعل رجال العمليات الخاصة إذ يراقبون مصكراً

كان البيت من طابقين ، صغيراً جداً ، وله حديقة غير مسقفة لكن حرص الرجل على أن يعلق كل الستائر بدا نهم مرصيف أحياناً كان يفتح نافذة ما ، بحيث لا يبدو منها ثم يغلقها ثانية ..

ثم قرروا أن يبدعوا تقنية أخرى هي لعب الكرة لعبها بحيث تصرب باب الرجل من أن لآخر إلى الصبية يحيدون هذه الأعمت المرعجة وفي مصر هناك مثل شعبي معناه (إن كنت لن تطرد أحدهم من القرية ، فلنطق عليه الأطفال)

يوم !!

هكذا ارتطمت الكرة بالباب .. فارتج ..

انفتح الباب وبرز الجار العجوز وقد ارداد وجهه كبة . ونظر عبر الطريق فرأى الصبية واقفين في نوع من التحدي له كان قد اعتاد هذه الأمور كما هو واضح . لا بد أن كثيرين تحرشوا به من قبل والسبب هو الاستفزاز الذي يسببه الرجل المنقلب للفلمض كنه يهين الآخرين أو كإن في انغلاقه درجة ما من التعالى لو كان شراراً يقف في وسط الطريق ولا يكف عن السباب لتركه الناس وشأنه

لكن الرجل كان عملياً نظر إلى الأرض فوجد الكرة اتحنى وحملها تحت إبطه كما تحمل أنت بطيخة وعاد إلى الداخل وأوصد الباب خلفه ..

- « كرتي !! »

كذا صاح (كلود) وهو يركل الأرض في عصبية

ثم إنه استدار إلى (جان بيير) وصاح معصياً

- « أنت صاحب الفكرة هذه الكرة غالية الثمن ومفصلة

لدى .. »

قال (جان بيير) في برود :

- « أنا لم أخذها .. هو فعل . لو كنت تريدها بهذا القدر فلماذا لا تطلبها منه ؟ »

- « أنت صاحب الفكرة .. »

- « وأنت صاحب الكرة .. »

هكذا دار الجدل المحتدم العصبى .. وبدأ أنه ما من واحد من هؤلاء الشجعان يرغب فى الذنوب من الرجل أكثر من اللازم لماذا ؟ ألم يتفق على أنه غريب من كوكب (يوريك) جاء ليعيد للغزو ؟

فى النهاية قال (جان بيير) وهو بالمناسبة أكبر الثلاثة سنًا صحيح أن الفارق بضعة أشهر ، لكن هذه الفوارق تغدو قرونا فى عالم الأطفال :

- « سادى بابيه أنا وأستعيد الكرة .. »

قال (مارتن) :

بخطوات مرتبكة متعثرة عبر (جان بيير) الطريق متجهًا لباب الرجل . نظر للوراء نحو صديقيه ، ثم رفع قبضته . دق على الباب . ثم إنه لاحظ وجود جرس هناك فضغط عليه ..

وفى هذه اللحظة بالذات خطر له أن يفر هاربًا ، ثم تماسك وقد أدرك أن صديقيه يرمقانه .

انفتح الباب وظهر الوجه الكئيب العجوز

- « معذرة يا سيدى . نحن لم نقصد أن نضرب بابك بالكرة .. »

ظل الرجل يرمقه فى ثبات كأنما هو صامت لا يتكلم فابتلع الفتى ريقه للزج ، وقال :

- « هل تسمح لنا باسترداد الكرة ؟ »

لدهشة الصبيين أفسح الرجل الطريق ليدخل (جان بيير) من الباب ..

وكما حكى (جان بيير) فيما بعد أقاده الرجل إلى الحديقة

الحفية هتك كل صندوق من الخشب موضوعاً على العشب ،
وكان يشبه صديق الاثتراع ذات الفتحة في أعلاها

دنا منه الرجل وأشار إليه بأشمنزاز ولا مبالاة وقال .

« كرتك بالداخل .. خذها ولا تعد هنا لهذا .. »

كانت الفتحة صغيرة لا تسمح بروية ما يدخل الصندوق
ولم يتسرع الصبي لحظة عن كيف دخلت الكرة هنا ، فقد
اقرص الصندوق باب حائياً أو سفلياً . لكن الفتحة
كنت تسمح بدخول اليد هكذا أدخل يده دون تفكير
وبلا حذر ..

ج ج ج ج ج ج ج

دوى الصوت الحاد البرى من داخل الصندوق ، وشعر
بشيء يجمعش يده ثوب الى الوراء مذعوراً ، لها انفجر
العجور صحك

ثم تكس صيحة عدية ، إنما هي ضحكة من ضحكات
السيف المفتعلة المبالغ فيها . كن يرجع رأسه للوراء
ويغمض عييه . وقد فتح فاه كشفاً عن قم خال من
الاسن تغريب ما عدا سين مصغرتين في الف السفلى .

ها ها ها ها ها

ولم يعرف الصبي متى ولا كيف فر من أمام الرجل عبيراً
المنزل ركضاً ..

ها ها ها ها ها

ها ها ها ها ها

ها ها ها

الضحك مستمر لكنه بحفت تدريجياً وهو يخرج من الباب
الأمامي باكياً . يعبر الطريق في ثلاث وثبات ليكون مع
صديقه . ولم يدر الصبيان لماذا ولاى سبب راح ثلاثهم
يجرون مذعورين ، بينما الصحكات المجنونة تلاحقهم .

لا بد أنهم كفوا عن الجرى عند حدود (تنزانيا) مثلاً

هناك وقفوا يلهثون ويلتقطون الأنفاس . أخيراً رفع
(جان بيير) يده ليرى ما دهاها . كان هناك خدش واضح
دام على ظهر يده وفي كفها . وقد راح يمتص الدم وهو
يبكى في غل :

« إنه شرير .. لقد أخافنى .. »

قال (سيمون) :

« ألم تعرف ما كان فى الصندوق ؟ »

- « كيف لي ذلك ؟ غالباً هو قط أو كلب صغير . لكنه شرس .. »

- « سنخبر بابا .. »

- « لا هذا سيصعبنا في مشكلة لماذا تضايقون هذا العجوز الطيب ؟ طاخ طاخ ! »

للأسف كان هذا حقيقياً . لكنهم فقط كانوا يدركون شيئاً واحداً . هذا العجوز قد خدعهم بشكل خسيس قاس . ولابد من انتقام آه آه ! إن تصور ضحكة النصر على ثغره القبيح الآن لأمر يثير الجنون ! كان كل منهم الآن على استعداد لمصارعة أسد - لو اقتضى الأمر - فقط كي يزيل هذه الضحكة عن وجه الرجل ..

قال الأب وهو يلتهم الجبن في نهاية الوجبة كما هي العادة الفرنسية :

- « لقد دعوته إلى العشاء معنا .. »

قالت الأم محتجة :

- « لا يبدو لي ضيفاً مريحاً .. »

- « لكنه مثير .. لابد أن عنده قصصاً غريبة . هؤلاء المهاجرون من شرق أوروبا يملكون حكايات مسلية للغاية ، وأنا أعترف لك هنا بأن الفصول يقتلني لمعرفة من هو .. »

- « وهل قبل الدعوة بهذه البساطة ؟ »

- « لم أترك له فرصة الاعتراض . قتلها وانصرفت قبل أن يرفض .. »

كان (حار بيير) يلتهم غداءه في اشمنزاز كعادة الصبية في سنه . لكن ما قتله الأب جعله يلتهب حماسة ، وفي عينيه التمتع نظرة غائرة شيطانية ..

- « لن يكون في داره هذه الليلة . هذه فرصة نادرة .. »

قال (كلود) وهو ينظر له بتشكك :

- « كيف تضمن هذا ؟ »

- « لأنه سيكون في دارنا . يلتهم طعام أمي ' »

- « لوه ! يا للعرف ! »

- « المهم أن بيته سيكون خالياً . وسوف نعرف كيف ندخله .. »

- « والغرض ؟ »

« سننتلف كل شيء ! سنرى ما يهتم به وننتلفه .
لو كان رساما سنخلط الأصباغ على صحافته لو كان كاتباً
سنسكب الحبر على أوراقه لو كان فضائياً سننتلف مكوكه
المخصص للعودة ! »

« لا تعبرنى معكم .. »

نظر (جان بيير) إلى (سيمون) نظرة من يستثير فحوته .
« وأنت ؟ لمفترض أن تغضب لأن لرجل أهلن صديقك »

بدا التردد على وجه (سيمون) ثم قال :

« نعم أريد الانتقام لكن دخول بيته . آسف هذه
جريمة ثم من أدان ما يوجد هناك ؟ لربما كان يربى
النمور .. »

« ولو كان يربى النمور فلسوف نطلق سراحها ! »

ثم قال فى قلق :

« إذن لا أحد معي ؟ »

قال (سيمون) الحل الوسط الذى وجدته ما بين المخاطرة
الزائدة والجبن المعلوم :

« سراقب المحرّج حتى لا يفاحك أحد »

« إذن موعدنا الثامنة مساء .. »

فى السابعة والنصف جاء الضيف ..

لم يقابله (جان بيير) لأنه أخبر أمه أنه لا يرغب فى
تناول العشاء ، وكان على كل حال يعرف أن هذا سيسرها
آخر شيء تريده لدى قدوم ضيف للبيت لأول مرة أن تجد
طفلاً مزعجاً عليك أن تراقب تصرفاته هكذا سمحت له
بعدم تناول الطعام . بل الخروج إذا أراد .

وكان السبب الآخر الذى راقى له هو أنه لا يرغب بأى
شكل فى أن يراه الرجل سيكون هذا محرّجاً

وفى الثامنة مساء كان يقف قرب بيت الرجل على الجهة
الأخرى من الطريق ، فى ذات الموضع الذى راقبوه منه
أول مرة ..

بعد قليل جاء (سيمون) وهو يجرق قميمه . يسهل معرفة كيف
تتم هذه المواقف . إنها عبارة عن مجموعة أشخاص يحشى
كل منهم أن يتهم بالجبن . هكذا تتحرك عجلة التاريخ

« أنا هنا ! »

قالها وهو يرقد على العشب ..

قال (جان بيير) وهو يخرح كشاف الجيب الصغير :

- « هناك باب خلفي على الأرجح سأتمكن من الدخول منه سأدخل وأفسد أشياء ثم أعود إليك - لو رأيت أحداً أطلق صيحة البومة .. »

- « أنا لم أسمع بومة في حياتي ! »

- « إذن اصرخ بأعلى صوتك .. »

ونظر حوله في الظلام فلم ير أحداً في غرفة الطعام في دارة مصاعة والمعادية على قدم وساق ما زال هناك وقت وهكذا عبر الطريق جرياً ، ودار حول منزل الرجل .

كانت الحديقة الخلفية مهمة تملأت فيها بعض الصناديق الحالية مشى في حزم وخفة وأدبر المقبص ، لكن الباب لم يفتح جرب مرتين دون جدوى هذا الوغد حذر وهو - (جان بيير) - لم ينق قط من يتذكر غلق باب المنزل الخلفي ..

هكذا راح يدور حول البيت بحثاً عن ثغرة ما

كانت هناك فتحة قرب الأرض واصبح أنها مخصصة لدخول وخروج الكلاب هو لم ير أي كلب هنا على

الإطلاق .. إنها لا تكفى لدخول أي لص يحترم نفسه ، لكن ماذا عن الصبية ؟

هكذا دس جسده في الفتحة وراح يحشر ويحشر .. أخيراً وجد نفسه في الداخل ..

كان قلبه الآن يخفق كطبل هذه أكبر جريمة ارتكبتها منذ ولد . وقد ارتكبتها فعلاً ، ولم تعد هناك أعذار .

الظلام دامس بالداخل يشعل الكشاف فيرى أقذر بيت يمكن تخيله . كل شيء ليس في مكانه كل شيء مهممل أو مبعثر لو كان خنزير يعيش هنا لكان تفسيراً منطقياً

هكذا راح يفتش البيت في رفق في حذر

وفي كل لحظة يزداد الانطباع في ذهنه . هذا الرجل مجنون لا يمكن أن يتحمل الحياة هنا إلا مجنون .

هذه هي الثلاثة .. ترى ما الذي يأكله ؟

فتحتها فدهش لأنه لم يجد بها أي طعام بين عشرات من الزحاجات .. حجم للرجلجة أكل من زجاجة المياه العذبة ربما هو النصف .. ربما كانت تحوى حمراً لكنه نوع من الخمر كتب اسمه بحروف عجيبة . هذا الرجل إذن لا يأكل بل يشرب

كان هناك قبو تقود له درجات سلم ..

وخطر له أن القبو في القصص يخفى دوماً الشر الأكثر
إرعاباً . لو كان الرجل من كوكب (يوريك) فليسوف يحوى
القبو أسلحة الدمار الكونى . فليبق نظرة

نظر الرجل في ساعته ومسح فمه بالمنشفة ، ثم قال
بلهجته الثقيلة :

- « عشاء ممتاز يا سيدتى لكنى تأخرت ! »

تبادل الزوج وزوجته نظرة ذات معنى ، ثم هتف فى
العجوز :

- « لم يتكلم بعد . كنت سنجلس فى غرفة المعيشة
وندخلن بعض الوقت .. »

- « أنا لا أدخل .. »

ضحك الزوج طويلاً :

- « ولا أت . فقط أردت أن نجلس قليلاً و .. »

تجشأ الرجل فى فظاظته وهو ينهض وأفرغ بقايا الكأس
فى فمه وقال :

- « مائدة عظيمة يا سيدتى . لكنى مضطر للانصراف ..
أكره ألا أدخل فراشى قبل التاسعة .. »

قال الزوج مجاملاً :

- « أنت عسكرى سبق حين كنت فى (تشيكوسلوفاكيا) ..
لا بد أن حياتك كانت تتحرك بدقة الساعة . »

- « هذا صحيح .. »

قالها وهو يتجه إلى الباب ..

وهمست الزوجة من بين أسناتها :

- « إنه فظ فعلاً . التهم طعلمى الطبيب ثم هو ينصرف
من دون أن يتبادل عشر جمل مفيدة . فى المرة القادمة
يجب أن تحسن انتقاء من تدعوهم للعشاء .. »

وكان الرجل قد فتح الباب فعلاً :

قال (ملزن) :

كان الأمر أقرب إلى مختبر ..

الآن يفهم (جان بيير) سر الشيء الذى خمش يده ..
هذه الأقفاص تحوى تلك القردة الصغيرة الصلعاء التى
يعرفها لكنه لا يعرف اسمها .. وهى ترمقه بعيون متسعة
خالفة تلتصق فى وهج الكشف ..

(تبدأ اهل القردة تنقل السحار ؟)

إذن هذا الرجل يربى القردة سرًا . لابد أن سيطرة
جاءته منذ أيام فى الليل وبقلت له حملتها .. إن القبو
يجعل سرها مكتومًا لا يعرفه أحد . لن يسمع أحد
صراخها ..

كانت هناك أنابيب لحتر . أجهزة علمية لا يفهم ما هى .

وكان هناك (مرطبان) كبير انصقت عليه بطاقة مكتوبة
بحروف لا يمكن قراءتها (المرطبان) يحوى مسحوقًا أبيض
علمص أقرب إلى السكر وقد نون تحته تاريخ لمس بالذات .

هناك لوح كتابة دونت عليه كتابة غريبة .. ثمة صور
فوتوغرافية معلقة على الجدار . صور بالأبيض والأسود
مع لمسة قبنى المميزة لصور المضى .. هذا هو (روسكوف)
إبه شاب لكنه أصلع الرأس كما هو ، يقف باحترام جوار
رجل عسكري كث اللشارب .. ثمة صور له فى مختبر ..
صورة له يقف مع رجال عسكريين ويشير إلى شيء ما
على الأرض فى حقل ..

كانت فكرة الانتقام قد خطرت له الآن .

اتجه الى (المرطبان) وفتحه . بحث حوله فوجد كيسًا
صغيرًا من البلاستيك ، فتحه وأفرغ فيه ملء قبضة اليد من
محتوى (المرطبان) .. ثم غادر القبو ..

لسبب ما بدأ يشعر بالذعر الآن . لسبب ما قرر جهاز
الهلع النائم فى عقله أن يعمل ..

لكنه لن يخرج من هنا قبل أن ينهى مهمته

اتجه إلى الشلاجة ففتحها . أمسك بأول زجاجة فأزال
غطاءها . كتبت لحسن حفظه من الطراز غير (المبرشم) .
هكذا أفرغ بعض المسحوق الكريه فيها وأغلقها بإحكام
مهما كان مضمون هذا المسحوق فالرجل سيتلقاه فى أحشائه

وكرر الشيء ذاته مع باقى الزجاجات التى كانت على السطح ..

(الباب يفتح)

وفى اللحظة ذاتها سمع صراخ (سيمون) صراخا سخيلا يحول التطهر بأنه بومة أو وحش لينى

وثب قلبه فى فمه ركض إلى . لا ليس انقبو .

(هل انتهت المأدبة ؟ كيف عاد بهذه السرعة ؟)

ركض إلى حجرة الحلوس . المشكلة أنه نسي أين كانت الفتحة التى دخل منها . هل كانت فى الصالة ؟؟

فى النهاية قرر أن يتوارى خلف مقعد عملاق من الطراز الذى يسمونه Arm Chair وحبس أنفاسه وهو يسمع الرجل يتكلم . كان يسب لكن بلغة غريبة لا يصعب أن تعرف السبب حين تسمعه . أعق الباب الصوت يفمر المكان .

سمع الرجل يمشى فى الصالة . صوت الثلاجة يفتح ثم الرجل يدخل العرفة التى هو فيها . يسترخى على المقعد الذى يتوارى وراءه راحة نفسه كريهة لا تطاق . إنها بالفعل تلوث المكان الذى يجلس فيه ..

كان يقنى فى إتهاك وبلا اتساق أو تناغم كما يفعل السكارى : كالبينكا .. كالبينكا !

صوت (لق لى لى) .. الرجل يجرع من زجاجة ما بهم شديد أبهذه السرعة ؟ لقد فرغت . يلقىها أرضا لتقع جوار (جان بيير) ثم يبدو أنه يشرب زجاجة أخرى بذات الفهم ..

فجأة صوت صرخة مربعة ..

لم يدر الصغير المذعور ما حدث . فقط شعر بأن الرجل يسقط من على المقعد يصدر صوتا مذيافا كأنما شخص يذبح حيا الحشرة من حلقه وصوت الرغوى المقرز

الرجل يصيح كمن لا يصدق بشيء ما .. إنه مذهول لكن لماذا ؟

هو فقط كمن الذعر قد بلغ نهاية الفتيل فخرج (جان بيير) من تحت المقعد ..

الرجل المحزون ممدد على الأرض وقد بدا فاقد الوعي . كرشه فى الهواء يعلو ويهبط . جواره زحجتن فارغتان من ذلك المشروب الذى كان يملأ الثلاجة لا يمكن المرور من هنا إلا من فوق ذراعه ترى هل يشعر ؟

قرر أن يحارب رفع ساقه بحذر وعبر فوق الذراع .
وفي اللحظة التالية هب الرجل من رقدته ..
شعر (جان بيير) بيد كالمزمرة تطبق على كاحله فصرخ ،
وسقط على الأرض ..

على حين جثم العجوز فوقه كالجاثوم .. بدا أكبر من
الواقع .. أكبر من الحياة ذاتها ..

- « أنت أيها العر الصغير ' أنت من فعل هذا ' »

أطلق الصبي أنبعا وحاول التخلص بلا جدوى

قال الرجل وهو يقرب وجهه من (جان بيير) :

- « ما دامت هذه لحظة الحقيقة فتعلمن أنني البروفسور
(اندريه انسيمفنتش خارين) من كبار علماء الاتحاد
السوفييتي . حالي أنا هرب من هناك متخف كي لا يحلني
رجل (كي جي بي) أنت نزلت إلى القبو أيها الفلر .. لا تنكر
ذلك ' لقد رأيت صورتي مع (ستالين) الحديدي ومع المارشال
(روكوف) لقد كنت رجلاً شديد الأهمية وفي لحظة
قرر أن أبحثي هراء والسبب أنني لم أكن أعرف ما
أعنيه حتى لعام ١٩٦٨ لم أكن أعرف ما أعرفه .. » :

فتح الصبي فمه وأطلق صرخة كفيلة بشفاء الصمم .
لكن الرجل كوم منديلاً قدراً ودسه في فمه بخنكة وبراعة
لا تصدقان . هنا فقط أدرك (جان بيير) أن مصيره أسود .
بالتأكيد يختلف عن شد أذنيه . لماذا لا يريد الرجل أن
يسمع صرخاته أحد ؟ لماذا لم يجره من أذنه إلى داره كي
يطلب أن يعاقبه أبواه ؟

قال الرجل بلهجته الغريبة ذات الطابع الروسي :

- « أنت نسيت لي المسحوق في زجاجة (الفودكا)

لقد شعرت بالشيء . لا تكذب . وأنت لا تعرف بالضبط
مادسته لي ولا خطره . كن هذا خطأ لأنك ستشرب
زجاجة كاملة منه معي !! »

أن الصبي في وهن . والتفص جسده لكن لا مجال
لمقارنة الوزنين ..

أردف (خارين) وهو يحك ذقنه :

- « كان هذا نيزكاً سقط في أمريكا الجنوبية وقد حصلنا
عليه قبل أي واحد آخر عن طريق أجهزة استخباراتنا
يقولون إن فرصة أول لقاء مع كائنات حية من الفضاء
الخارجي لن تكون مع أشخاص خضر اللون فهم هوانيات

على الرعوس إن فرصة اللقاء - حسب القوانين الاحصائية - ستكون مع بكتريا أو فيروس أو كائن وحيد الخلية هذا هو نوع اللقاءات الممكنة وقد حدث هذا بالفعل إن ما يحتويه النيزك كان نوعاً معقداً من الحياة أقرب إلى فطر نعم فطر كامل لم تقض عليه رحلته وقد حاولت كثيراً أن أعيد له الحياة بلا جدوى . وحينما قررت من الاتحاد السوفييتي كنت أحمله معي «

ثم صمت وراح يلعب شفته بلسانه كأنما يستوثق من تغيرات جديدة هناك .. وأردف :

- « عدت أمارس تجاربي بدقة وفي النهاية عرفت مكن الخطأ لقد عادت الحياة إلى هذا الفطر بعد أعوام من السكون وقد حربته على القردة والقطط هذا الفطر هو أعنى سلاح بيولوجي عرفه الإنسان على الإطلاق إنه يحيل فرداً كامل النمو إلى كتلة هلامية من العجين خلال دقائق يكفى أن يأكله أو يحقن في دمه ولسوف ترى القرد يذوب أمامك .. تصور هذا ! »

ثم اتسعت عيناها ونظر في وجه الصبي .

- « وأنت دسسته لي في شرابي ؟ لقد شربت زجاجتين منه لقد عرفت هذا على الفور هل تعرف لماذا ؟ »

وفي اللحظة التالية كانت كفه في وجه الصبي . لكن لم تكن هناك أصابع . لقد تحولت اليد الآن إلى عجين هلامي أقرب إلى شمعة ذائبة ..

قال الرجل وهو يمد يده إلى زجاجة على الأرض :

- « لقد قتهى أمرى لكنى لن أموت قبل أن أراك تشرب زجاجة كاملة منه ! »

وانزع المندبل من قم (جان بيير) فراح هذا يصرخ ويركل .. الزجاجة تقترب من فمه .. آه ...

فجأة بدأ وجه الرجل يذوب بالفعل كأنه تمثال من الشمع وضعت تحته شمعة . ثمة نوع من العطن الأخضر كعطن الخبز ينتشر فوق ملامحه بسرعة . أحياناً يزحف على السطح وأحياناً يتوارى لكنك تراه طيلة الوقت . لو أنك أحرقت منديلاً ورقياً مكوماً لرأيت شعلات النار تفعل الشيء ذاته .

إنه يتهاوى بصعوبة سحب الصبي نفسه من تحت الشيء البشع الجاثم فوقه ..

- « مستش .. بو .. بنو .. بنو !! »

صدر هذا الصوت من كتلة الهلام الداتية التي ما زالت تحتفظ بحقد غريب ..

إنه يتحرر . يركض نحو الباب . ينظر للوراء فيرى الكتلة تنهاوى والسائر الهلامي يخرج من كل فتحات ثيابها الباب . أدار المقنض فنفخ الحديقة والليل حمدا لله !

راح يركض عبر الطريق وهو يولول لا يصق أنه نجا ..

وهبك كن (سيمون) ينتظره معتق الوحه وفتح فمه ليتكلم لكن الصبي أخرسه صلتحا :

« اجر معي !! إنه قادم ! »

وظل الصبيان يحريان ويحريان ويحريان

عاد إلى البيت فلم يقل لأبويه شيئا ..

كان أول ما يريد هو ان يغسل وجهه ويبدل ثيابه كي لا تكون هناك أسئلة مريبة ..

وقف امام المرأة وبدأ يغسل ادنيه بوجهه تغمض بلفء عدة مرات إلى ملامح وجهه تكشف عن كثرته لا بد من أن يبقى في غرفته لفترة ما ..

كل عضلة في جسده ترتجف لقد ذاب الرجل في دقائق . ذاب في دقائق وكان سير غمى على شرب ذلك الـ . كان سير غمى على شرب كان سير غمى على شرب كان سير غمى على شرب ذاب في دقائق لقد ذاب الرجل في دقائق ..

ثم تصلب ..

لقد لاحظ للمرة الأولى منذ يوم ذلك الخدش في يده اليمنى الخدش الذي أصابه من القرود في الصدوق
يكفى ان ياكبه او يحقر في دمه . وليسوف ترى القرود يذوب أمامك .. تصور هذا !

هو أمسك بالمادة التي تشبه السكر بقبضته . هو قد

ومنا لاحظ للمرة الأولى شيئا لم ينحظه من قبل . منذ متى كن اصغره الاوسط منتحم بالنسابة بهذا الشكل

وكلما اطلال النظر أدرك أنهما يذويان ليلتحما معا على حين راح خنصره يتوى كأنما هو شمعة تذوب

هرع إلى باب الحمام وجثا على ركتيه صارخا بصوت مبحوح :

« ماما !! ماما !! »

قال (ملزن) :

- « بالطبع تحول الصبي (جان بيري) إلى كتلة هلامية هي التي تراها أمامك .. وقد حصلت على الكتلة وحصلت على المسحوق إياه .. قبل أن ينتهي الصبي تماما حتى القصة لأبويه كاملة ، وقد جرى تحقيق عن الموضوع ولم تعرف الصحف شيئا عنه .. وظل المسحوق في المختبرات الفرنسية لكنني حصلت على بعضه »

قلت له ولما أعيد تأمل الكتلة خلف الواجهة .

- « إذن هذا طفل أو ما بقي منه ! »

- « هو كذلك .. ويجب القول إنه تلقى أقصى عقاب ممكن على شيطنته .. هذه طريقة تربوية ناجحة أخرى »

- « وهل جربت المادة ؟ »

قال باسمنا وهو يتجه إلى الواجهة الرابعة :

- « ماذا تظن ؟ إن الفضول هو القوة المسيطرة على الوجدان الجمعي . أقوى من أي شيء آخر . والان لنر هذه الواجهة .. »

عيننا راسبوتين

نظرت إلى ساعتى لقد توغل الليل كثيراً لقد صارت العودة إلى القاهرة اليوم وهما . والغريب أننا كنا واقفين طيلة هذا الوقت فلم تتعبنى سقاي . لكننى قدرت أن أمامى ساعتين على الأقل قبل أن أعرف ما يجب معرفته ، ومضى هذا أن على أن أمضى ما بقى من الليل فى الإسكندرية .

طلبت منه أن نستريح قليلاً فوافق . وعدنا إلى غرفة مكتبه

غاب بعض الوقت ثم عاد حاملاً صحيفة عنها بعض الشئ والشطائر وقد سرى هذا جنس يراقبنى وأنا ألهم الطعام وهو يتأمل سيجاره أكثر مما يدخنه .

« هناك غرفة نوم يمكن أن تقضى فيها ما تنقى من الليل .. »

ابتلعت ما بهمنى ، وقلت ضاحكاً :

« لا اعتقد أن الأمور بهذا السوء . إن النهار قد اقترب .. »

صمت وراح يراقبنى فى نفاد صبر ، ولسان حاله يقول :
الآن تنتهى أبداً من هذا الأكل ؟ ما زال أمامك الكثير .

بالفعل فرغت من الطعام وشربت الشئ ، فنهض متعجلاً إلى المتحف دون أن يقول كلمة أخرى ، وهكذا نهضت وراءه وأنا لم نفرغ من المضغ بعد ..

ووقفنا أمام الواجهة الرابعة ..

كانت الواجهة تحوى إباء آخر من أوعية الفورمالين الشفافة وبالداخل كان هناك قضبان من الزجاج ثبتت على كل عود عين بشرية كاملة . كأنه عود من المكرونة فى نهايته ببصة مسلوقة ؛ لو لم تكن ممن يكرهون هذه التشبيهات على العموم كل أطباء علم الأمراض بحبوتها ويطلقون عليها (Deilentessen Pathology) ..

قال الرجل :

« النوع الرابع من الرعب يتعلق بالتغيرات التى تطرأ ولا يمكن تفسيرها ، على أكثر مخلوق تعرفه فى الوجود — أو هكذا تحسب — أنت ! »

قال (مارن) :

لم يحب (عادل سلاموني) زيارته لـ (موسكو) قط ..

كان يشعر طيلة الوقت بأن هناك جواً خافياً يحيط به طيلة الوقت ، وبأنه مراقب وبأن هناك نوعاً من التوتر في كل شيء . كانت هذه فترة السيطرة المطلقة للحزب ، مما يعطى الجو كله طبعاً (أوروبياً) لا يمكنك أن تتحمله .

كان (عادل) طبيباً في العقد الثالث من عمره ، لم يتزوج بعد . وقد جاء إلى الاتحاد السوفييتي في بعثة تعليمية بهدف للحصول على درجة الدكتوراه في أمراض العيون . كانت أكثر البعثات الدراسية تتجه إلى الاتحاد السوفييتي في ذلك الوقت

قلت إن (عادل) لم يحب (موسكو) قط . والسبب على الأرجح كل قصص الجاسوسية وأفلام (جيمس بوند) التي قرأها في صباه ، والتي جعلته يشعر بأن (موسكو) مخبر كبير يراقب كل سمكاته ، وكان يؤمن بأن لدى الناس ما يقولونه لكنهم خائفون ..

هكذا راح في لهفة يترقب الفرصة التي تنتهي فيها بعثته

ويعود إلى مصر ..

(أولجا) من أخبرك بموضوع (أولجا) " إنها فتاة رائعة حقاً من ناحية الجمال وتمثل كل أحلامه عن المرأة ، حتى إنه يتخيل صورتها في أي قاموس تحت كلمة (امرأة) وهي تحبه بجنون ويعتقد أنه يحبها بحسب . لكن هناك تلك المشكلة التي لا حل لها . إنها لا تؤمن بشيء .. تكتب في خاتمة الديانة في أية استمارة تملوها كلمة (لا يوجد)

وكان (عادل) متديناً وقد أدرك أنه لا يستطيع الزواج منها لأنه - سماعة - لا يريد لها أن تربي أطفاله

لهذا - يمكن أن يفهم - لم تحمل به ، (موسكو) ابنه ذكرى سارة على الإطلاق سوى ذكرى الحب المستحيل . وهي ذكرى تناسب الشعراء والأدباء . ويمكنها أن تحلب لهم رزقاً واسعاً بكل القصائد التي سيكتبونها عنها . لكنها لا تناسبه هو الإنسان العملي الذي لم يقرأ قصيدة ولا رواية في حياته ..

كان بعد الأيام والأشهر بانتظار انتهاء البعثة ، إلى أن صار شهر يفصله عن الوطن ..

قال (ملان) :

كان الأستاذ السوفييتي (يورى زاجالوف) رجلاً غاية في البداية .. ثقيلًا جدًا من الطراز الذى لو جلس لجلس للأبد ، ولو وقف لوقف للأبد . هناك نظرة منهكة في عينيه من الطراز الذى يقول : (أنت لن تبهرنى بشيء فلا داعى لأن تتعبنى معك) . كان هو المشرف على دراسة (عادل) ..

قال له وهو يبحث فى نموذج صغير للكرة الأرضية على مكتبه :

« يؤسفنا أنك سترحل قريباً يا د (عادل) . كنت طالباً مجداً وأعتقد بشكل ما أنك لم تحب (موسكو) لكنى ما زلت أتمنى ألا تتسنى أصدقائك هنا . »

لم يرد (عادل) حتى لا يتورط فى مجاملة هي أقرب إلى كذبة . لكنه كان متأكداً من شيء واحد : لربما كره (موسكو) لكنه أحب الكثيرين من الموسكويين بلا شك .

قال البروفسور وهو ينهض :

« إتسى راغب بحق فى أن أهديك شيئاً كلما رأيته تذكرت أستاذك (زاجالوف) . لو جئت معى إلى مكتبى . »

كانا يتكلمان فى غرفة الجلوس فى منزل البروفيسور . الثلج ينهمر بالخارج ، والمدفأة مريحة تجعل فكرة الانصراف من هنا كابوساً .. لابد أنك ستتلقى نزلة برد تزيدك من على وجه الأرض ..

كان يشرب الشيكولاته السلخنة ، وهو يستشعر لذة المشروب الساخن الدسم يتسرب إلى أحشائه .. لهذا حمل الطبق فى يده ومشى وراء البروفيسور ..

كان مكتب البروفيسور مريحاً دافئاً هو الآخر ، ومنسقاً بعناية . هناك جدار تحتله بالكامل كتب طبية أكثرها كتب بالروسية .. الجدار الآخر تحتله مكتبة أدبية عملاقة تحمل أسماء مثل (تشيخوف Chekhov) و (جوجول Gogol) وغيرهم من الكتاب الكبار الذين لم يعد أحد يرحب بهم فى الاتحاد السوفييتى (لأنهم رجعيون) .

ثمة جدار ثالث تحتله واجهة زجاجية ملأى بالتذكارات تشبه الواجهة التى نقف أمامها ..

أشعل البروفيسور سيجاراً روسياً غليظاً كريه الرائحة وقال مفكراً :

« هل درع التميز الطبى ؟ لا . إبنى بحاجة إليه »

ثمة قلادة من سبيبري أحفظ بها لكن ماذا عن هذه الرصاصات ؟ إنها ألمانية من أيام حصار (ستالينجراد) .
وعده ؟ قطعة من شطية هل تحب الدمى ؟ هناك دمية من (أوكرانيا) لكن نعم هي الدمية . إنها جميلة «
ومد يده الممسكة بالسيجار والتقط دمية خزفية تمثل
فلاحة روسية تربط شعرها بإيشارپ ..

فوجئ (عادل) بذلك الإساءة الرجسجى الإساءة الذي نراه
امامنا الآن وكان متواريا بين التذكارات فلا تكاد ترى
ما فيه .. فقال في دهشة :

- « ما هذا يا بروفيسور ؟ »

نظر البروفيسور إلى الإساءة وهر رأسه في تقزز :

- « هذا كلام فارغ قل انه تذكارات لحماقتي »

عاد (عادل) يلح على الرجل :

- « ما الذي يدعوك للاحتفاظ بعينين كاملتين في خزانة

ذكرياتك ؟ »

قال البروفيسور :

- « هي شبيبي كنت أحقق مثلك كل الشباب حمقى
في لوف في وكن هناك تلك الاعراف الذي قلوا انه يعرف

الكثير من الأسرار . وقد باعني أشياء كثيرة ، غريبة لكن
أغربها كان هاتين العينين .. »

ثم ابتسم في سخرية ونفث سحابة كثيفة من الدخان :

- « ما رأيك في امتلاك عيني (راسبوتين) ذاته ؟ »

قال (مازن) :

بالطبع ارتحف (عادل) لهذه الكنمات الغريبة .. وعاد يستوثق من المعلومة ..

قال البروفسور وهو يتأمل الدمية الخزفية :

- « زعم العراف أن جثة (راسبوتين Rasputin) لم تدفن بعينيهما . لكن هناك من انتزعهما ، ووضعهما في سائل حافظ ثم حشا المحجرين بالصلصال . ومن يومها يتوارث العرافون هذه التحفة العتيقة .. قال لى إن لهاتين العينين قوة مغناطيسية لا يمكن وصفها ، وإبه من الخير لى ألا أطيل النظر فيهما .. قال كذلك ابنى لو زرعتهما لأى شخص لاكتسب قوة (راسبوتين) .. دعنى أقل لك إبه لو كانت هاتان عيني (راسبوتين) لوجدت منظمة (اليونسكو) كلها تقف خارج باب هذه الغرفة ، ولربما أرسلونى إلى (سيبيريا) بتهمة احتلاس أملاك الدولة . طبعا اتبهرت بهذا الشيء وقتها وابتعت هذه العينة المقرزة ، وحرصت على ألا أنظر إليها أبداً . ومن حينها هى عندى فى هذه الحزانة لا احد الشجعة كى أتخلص منها . »

قال (عادل) باسمًا :

- « هذا العراف كان يفترض أنهم يزرعون العين كاملة فى محجر العين .. »

- « طبعا . هذا ما يعتقد العامة . لا يعرفون أننا نأخذ للقرنية فقط بالـ (كيراتوم Keratome) .. وحتى على هذا الصعيد لا يمكن أن تزرع قرنية تعود لعام ١٩١٦ .. الخلاصة أن مالى ضاع هباءً »

وقف (عادل) يرمى الإساء فى نهم . الحقيقة أن العينين فتتاه ولا يعرف لهذا سبباً ..

- « بروفسور . هل تهدينى هاتين العينين ؟ »

مضغ البروفسور سيجاره ونظر لـ (عادل) كأنما يرى مجنوناً نفث سحابة كثيفة وقال :

- « هل جننت ؟ هل هذه هدية ؟ »

- « قلت إنك راغب فى الخلاص منها .. »

- « نعم .. لكنى لا أحب إهداءها لأصدقائى . »

- « إن هذه ما أتمناه فعلاً .. »

نظر له البروفيسور طويلا ، ثم مد يده في الخزانة وأخرج الإناء الزجاجي ..

كلما ذكرت كلمة (كاريزما) تداعت الى الذهن صورة الروسي (جريجوري يفيموشتش راسبوتين) * . الرجل الذي كن راهبا جوالا ثم مرق واتجه إلى حياة الرذيلة . إن صورته ما زالت حية بعينه القويتين الثابتين ولحيته السوداء الكثيفة وشبابه السوداء التي تجعله ينضم بجداره إلى عالم المسوح الفرق هنا أنه كان شخصا من لحم ولم يمشي على الأرض ..

كان يقدم نفسه للناس على أنه معالج روحي .

كانت له سطوة نفسية لا يمكن وصفها ، وكانت عيناه قادرتين على جعل أقوى الرجال يرتجف خوفا .. أما النساء فكان يسقطن صرعى هواه بلا تحفظ . ويقال إنه نموذج للرجل الذي تعفن النساء أنهن يكرهنه ويشمالزن منه فقط لأنهن يعرفن كم هن ضعيفات أمامه ..

يجب أن نضيف هنا أنه كان في غاية الفجور ، وكان يتحدث دومًا عن أن الأرض السوداء تنتج أشهى الثمار منب كن يبحث عن الرذائل بالمجهر ليرتكبها

* (مستحب عنه مستشير في كتيب ، فتوبيا) رقم ٢٨ من شاء الله

بشكل ما وصل صيته إلى البلاط القيصري ، حيث كان ابن القيصر يعاني مرضا نرفيا متكررا هو (الهيموفيليا Hemophilia) .. وكان هناك من نصيح القيصرية بأن تجرب قدرات هذا الرجل العجيب ..

هكذا بدأ الطفل يتحسن ، وسرعان ما تنامي نفوذ (راسبوتين) في البلاط إلى حد أنه كان بالفعل يحكم روسيا كلها من خلال القيصر وزوجته فقد كانت الواجهة تتق به ثقة عسقاء وتعتقد أنه أظهر رجل عرفته

وفي العام ١٩١٦ قررت مجموعة من نبلاء البلاط أن يتخلصوا من هذه الكثرة .. هكذا سوانه السم في شرابه فقط نعرفوا أن السم لا يؤثر فيه وقد كاد يفتك بهم بجسده العملاق المخيف ، هكذا أطلقوا عليه الرصاص

ويقال إن (راسبوتين) كان هو المسمار الأخير في قبر آل (رومانوف Romanov) الذين لا تقوا نهاية مفاجئة في ثورة ١٩١٧ التي جاءت بالشيوخيين إلى الحكم وأطاحت بالنظام القيصري ..

أين دفن (راسبوتين) ؟ لست متأكدا من هذه النقطة . لكن السؤال الأهم هو : هل دفن وعيناه في محجريهما ؟

هكذا عاد (عادل) إلى مصر وهو يحمل في متاعه إثناء زواجياً حرص على تبطينه وتغليفه بعناية كي لا يتهشم ، ولحسن حظه لم يفتح أحد حقائبه لأنه كان سيجد عسراً في تفسير عمله لعينين آدميتين معه ..

التذكار الوحيد الذى يحمله من (موسكو) هو هاتان العبان وبعض الصور مع (أولجا) وخطابات منها

لم يكن (عادل) متزوجاً كما قلنا ، ولم يكن له بيت فى المدينة . كان حتى هذه اللحظة يقيم فى بيت أسرته بقرية ، وهى قرية تتبع محافظة () لديهم هناك بيت من الطوب من طابقين . فهى أسرة على قدر من اليسر لكنه كان يخطط للحياة فى المدينة فقط ما إن يستقر ويجد زوجة المستقبل . وقد حرص على أن يعد غرفته هناك بعناية ، ووارى الإثناء فى خزائنه التى احتفظ بمفتاحها متغافاً للحوادث المؤسفة ..

فلما جاء الليل وانتهى مسلسل استقبال الأقرب والأصدقاء ، صعد إلى غرفته وارتندى جلباباً للنوم ..

لا يعرف السبب لكن لهفة غير عادية كانت تغمره ، مع رغبة عارمة فى أن يتأمل هاتين العينين

فتح الخزانة وأخرج الإناء ووضع على منضدة صغيرة هناك . ثم جنب مقعداً خشبياً عتيقاً وجلس عليه ينظر إلى هاتين الكرّتين ترمقانه من خلال الزجاج عبر السائل الشفاف ..

من الخطأ أن يتكلم المرء عن عينين قويتين . إن ما يعطى الانطباع بالنظرة هو أشياء أخرى . شكل الأهداف . شكل الحاجسين . اتساع فتحة العين . كل هذه أشياء لا بد منها لتعرف إن كانت النظرة قوية أم لا . أما أن تضع كرّتين فى حوض زجاجى فهما ذات الكرّتين لدى أى شخص آخر . كأنك تتأمل إطار سيارة منزوعاً ثم تحاول الكلام عن فخامة السيارة ذاتها وتصيابتها ..

لكن هاتين العينين كانت تملكان قوة جذب لا يعرف سببها ..

ولوقت لا بأس به ظل يتأملهما فى ضوء الغرفة الشاحب الخافت الذى يبعثه مصباح وحيد يتدلى من السقف .

كانت تنقله إلى عوالم غريبة لم يرها من قبل . إنه يرى (الكرملين) والثلج يتساقط من حوله . هناك عربة تجرها الخيول . أميرة روسية تغمض عينيها فى افتتان .

حفلات راقصة صاخبة الضباط بثيابهم الأكيفة المزركشة
يرفعون سيوفهم فى رشاقة وجوه تصحك وجوه تبكى .
خيول .. ثياب بيضاء ..

كل هذا وهو ينظر إلى العينين الثابتتين

فجأة نظر إلى ساعته فلفظن لحقيقة مروعة . إنه هنا
ينظر لهاتين العينين طيلة ساعتين كاملتين ! هكذا أعلاه
إلى الخزائن .. وأطفا النور ..

كانت هذه أول ليلة له فى مصر منذ أعوام ، وقد سم نوما
عميقا بلا أحلام

قال الأستاذ المصرى وهو يقب صفحات الرسالة السميكة .

« ليس بوسعنا الانتهاء من هذه سريفاً أعفد أنك
ستأخر خمسة أشهر على الأقل .. »

قال (عادل) فى ضيق وهو ينهض من مقعده .

« سيدى أنا فى وضع معلق بين مصر و (الاتحاد
السوفيتى) أريد الانتهاء سريفاً كى أعرف موضع قسمى ..
هم قد فرغوا منى هناك ولم تبدعوا معى هنا لا يمكننى
العودة لهم ولا يمكننى معاودة حياتى هنا .. »

قال الأستاذ وهو يتزع عوينته :

« أفهم كل هذا لكنى لا أعرف كيف أفيدك .. هل أجز
بحثاً لم أقرأه ؟ »

« إذن لماذا لا تفعل ؟ »

لاحظ دون قصد أنه يتكلم فى حدة الأستاذ نفسه لاحظ
هذا فرفع عينه متسللاً ..

فجأة اتسعت عيناه .. نبئت قطرات عرق على جبينه ،
فأخرج منديل به مرتجفة . وقال :

« نعم . نعم .. أعفد أن أنتهى من ذلك فى أسرع وقت »

بنفس اللهجة الحازمة التى لم يتعدها قال (عادل) :

« أسبوغاً واحداً على الأكثر ؟ »

قال الأستاذ وهو يجفف العرق على جبينه .

« نعم .. نعم .. أسبوغاً على الأكثر .. »

« شكراً يا سيدى .. »

قائها بذات الطريقة الحازمة الأمرة .. ودون أن تفارق
عيناه عينى لرجل ، ثم غادر المكتب ..

حينما اختلى بنفسه لم يصدق أنه فعلها . قال لنفسه . لا بد أننى أملك تأثيراً نفسياً هائلاً لا أستطيعه . كل هذا الحزم وكل هذا الإصرار . والعريب أنه لم يعتمد ذلك قط

من الغريب أن تكتشف فى من الثلاثين أنك قوى الشخصية . بحسب المرء أنه عرف كل شيء عن نفسه متى بلغ العشرين . لكن النفس البشرية تشبه البصلة كلما أزلت المزيد من الأعشية عنها بدت لك طبقات أخرى لامعة نظيفة لم ترها من قبل ..

لا بد أن تجربة العربة قد أفدته وصفقته . هو يكره أن يحاطب أستاذة بهذه الطريقة ، لكنه إلى حد ما كان يرغب فى ذلك . إن حياته متوقفة على رأى هذا الأستاذ

- « السينما هذه الليلة ؟ مستحيل !! »

قالتها (تغريد) وهى تتراجع إلى الوراء فى غضب ..

كانت (تغريد) هى مشروع زواجه قبل أن يسافر إلى الاتحاد السوفيتى . وهى فتاة لا بأس بها لكنها لا تقارن بـ (أولح) من ناحية انجمال طبع . لا يزعم أبدا أنه

أحبها لأنه كما قلنا رجل عملى جداً .. كان يريد زوجة وكانت هى تصلح ، وقد راق له أنها لم تكن قد ارتبطت بأحد لدى عودته من البعثة ..

قال لها بلهجة حازمة :

- « لا أرى ما يضير فى دخول السينم معى . لست مراقباً سخيفاً .. »

- « هذا هو بيت القصيد . لست مراقباً سخيفاً ولا أنا مراقباً سخيفاً . لهذا لا أرى داعياً على الإطلاق لهذه الدعوة .. قمت وعدت بأن تطلب يدى هذا الأسبوع . فلنفترض أن أبى رفض ؟ لماذا أحتلى برجل لن يكون لى ؟ »
- « لن يرفض .. »

- « وقد يفعل . لهذا أرى أن الانتظار قد .. »

نظر لها بحدة وقال وهو يضغط على كلماته .

« (تغريد) ستذهبن معى إلى السينما لأننى أريد ذلك موعدنا فى السادسة مساء . يجب أن أنتهى مبكراً كي أعود إلى قريتى .. »

كانت تنظر له وقد اتسعت عيناها .. متى رأى هذه النظرة من قبل ؟ شفتاها منفرجتان ترتجف السفلى منهما . ثم قالت بصوت مبحوح :

« ليكن .. أمرك .. أمرك . »

سر من نفسه . لم يكن يريد شيئاً من هذه الدعوة إلا أن تقبلها . فقط يريد أن تحقق إرادته انتصاراً ما .. وقد حققه . حياته كلها تتحول إلى انتصارات متلاحقة ..

وقال لنفسه وهو ينتظر أمام باب السينما :

« إن شخصيتي تزداد قوة . بنسى أتمتع بكاريزما لاشك فيها !! »

قال (هازن) :

في المرة التالية توالى انتصارات (عادل) في معركة الإرادة . الأب رحب به بلا تردد ووافق على أن يتزوج ابنته . صاحب البيت الذي كان متمسكاً بمبلغ معين ، وجد نفسه يتنازل عن نصفه بسهولة مطلقاً . وهكذا وجد (عادل) نفسه وقد خطب (تغريد) وامتلك شقة لا بأس بها في المدينة ، وأجيزت رسالة الدكتوراه الخاصة به

وقد أخبر أهله في القرية أنه سينتقل إلى المدينة إنه بحاجة إلى البحث عن عيادة ..

لم يرفض أحد . بالواقع لم يعد أحد يرفض أى طلب له من زمن ..

وهكذا نجد الآن أن (عادل) يقيم في شقة وحده في المدينة . وقد كون عادات جديدة . نكن العادة الوحيدة التي لم يتخل عنها هي الجلوس أمام التين ومراقبتها لمدة ساعات . لقد أدمن تلك العوالم الغامضة التي تنقله إليها

قالت له (تغريد) ذات مرة وهو في دارها :

« لا أعرف السبب لكن هل ثمة مرض ما في عينيك ؟ »

مط شفته السفلى في نهكم ، لكنه واصلت الكلام .

« أنا لا أعزح لقد تغيرتا كثيراً وبني لأخفهما أحياناً .. »

تجامل ما تقول .. لكنه إذ دخل الحمام وقف بعض الوقت أمام المرأة وهو لم يكن من الأشخاص المولعين بوجوههم على الإطلاق كان يعرف أنه لا بد من وجه حتى لا يمشى بعظم الجمجمة عارية . لكنه في هذه المرة أطل النظر وبرغمه شعر برجة تتخلل عموده الفقرى

كأنه قد أحبط عيبه بكحل كثيف قبل أن ينزل من دره .. الحاجبان صارا كثين جداً يتدليان فوق عينيه . فتحة العين ذاتها صارت واسعة جداً للخلاصة أن هلك بحيرة كاملة من اللون الأسود تحيطان بعينين لا يمكن مقاومتها عينين من الطراز الذى لا تستطيع معه تذكر إن كان هناك وجه أم لا ..

شعر بقلق فحاول أن يسد المظهر عن ذهنه

إنه طبيب عيون ولو كان هناك مرض اسمه (نظرات العين الشاقة أكثر من اللازم) لكان هو أول من يسمع به . قال لنفسه إن عيبه بشفة على روجه وروحه قلقة عجول لا تريد أن يصيب من العمر يوم واحد آخر . لهذا لم يعد يقبل من يجادلنه أو يخضعه للرأى يريد طاعة عمياء ..

هذا هو كل شيء ..

على أن القلق عاوده حين كان فى ذلك المتحر تلك الليلة ، وكانت هناك أم تحمل طفلاً رضيعاً على كتفها وتمسك بيد طفلة فى الثامنة . وقف وراءها فرأى الرضيع يرمقه بعينين متسعيتين فى رعب ثم انفجر فى صراخ هستيرى مجنون .. عواء إذا أردت الدقة

نظراً أسفل فرأى الطفلة تنظر له بذات الرعب ثم تنكمش فى ثوب أمها دون أن تفارقه بعينيهما .

نظراً أعلى من جديد فوجد الأم تنظر للوراء تغمع فى

جزع :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. »

ثم تجر طفلها بعيداً عنه بسرعة الغار من المجدوم

ما معنى هذا ؟ والأسوأ هو أن البائع ظل يرتجف وأوقع أشياء على الأرض وبدأ كأنما لا يريد شيئاً فى العالم قدر أن يرحل هذا القلام ..

فى اليوم التالى كان فى المستشفى . حين صرخت الممرضات أن المريضة الفلانية تعاني ألماً عنيفاً

دخل العنبر ليجد مجموعة من الأطباء الشبان يحيطون

بفراش مريضة هناك الكثير من الصراخ والهستريا .. هناك من يحققها بأشياء .. نظر لهم متسانلاً رافعا حاجبيه على شكل علامتى استفهام ، فقال له طبيب شاب يعرف بغزارة :

- « إننا نعدّها للجراحة عداً لكنها تصرخ من ألم مبهم فى عينيها تشعر بأنهما ستفجران »

راجع التذكرة الخاصة بالمريضة ، ثم غمغم :

- « جراحة حول بسيطة ستجرى لها غذا . هذه المريضة لا تعاني ألماً حقيقياً هذه هستيريا لا أكثر . »

- « قل لها ذلك يا سيدى . لقد حاولنا كل شيء .. »

كانوا قد جربوا كل الأساليب المعروفة فعلاً بدءاً بالكلام الهادئ المطمئن ، مروراً بحقن محلول الملح الزائفة ، وانتهاء بالصفعات لكنها كانت تصرخ كقطار السبك الحديدية ، وبدأ أنها لن تكف حتى تموت .

- « ربما لو طلبنا من يديرها يا سيدى .. »

- « ليس إلى هذا الحد .. »

ولنا من المرأة الحقيقة أنها كنت قد كفت عن الصراخ

فعلاً فى اللحظة التى رأت فيها عينيه .. نظر لها فى ثبات ووضع أنامله على جبهتها وإبهامه على جفنها العلوى .. بدأت تصمت .. تراخت معالم وجهها . ثم أغمضت عينيها وتامت . لماذا فعل هذا ؟ من أخبره أنه قادر على هذا ؟ لا يعرف ..

وقال لحد الأطباء الواقفين :

- « هذا صحر يا سيدى .. »

الحقيقة أنه كان يعرف ذلك يعرف أن الكلمة تعنى معناها حرفياً ..

ابتسم فى تهكم يدرى الكثير من التوجس وانصرف

هكذا بدأ القلق يعصف به . وكان أول ما ابتاعه فى طريق العودة إلى الدار نظارة سوداء .. هكذا يحفى هاتين العينين القويتين فلا يكشفهما إلا عند الضرورة ، وكما يفعل الفارس الذى لا يخرج سيفه من غمده إلا عند الحاجة . الآن يفهم كلام شعراء العرب عن (جردت نظرتها) أو (أعادت عينيها إلى غمدها) ..

من الغريب أنه - وهو للذكى - لم يربط حتى هذه اللحظة بين العينين وما يحدث ..

وهكذا راح يعضى أيمه فى تأمل العينين وفى مراقبة
ما يحدث لعينه هو فى دهشة بالغة ..

إن الأمر يزداد وضوحاً الكلى يفسح له الطريق حين
يمشى فى الشارع فى الحافلة يتحاشى الناس الاحتكاك به
ويطرقون بأبصارهم فى العمل لم يعد أحد يواجهه على
الإطلاق ..

كن قد أطل شعر رأسه قليلاً فى الفترة السابقة ، وهو
تأعم مسدول بطبعه مما جعله يبدو بانفعلاً مشرصور
(راسبوتين) التى تراها ذات خشونة فى بديت القرن العشرين

لكنه لم يع هذا التحول إلا فى وقت متأخر للغاية

وفى مساء يوم جلس كعادته الى المنضدة يراقب العبيين
خلف السائل اشبهت هذا اللون الاررق العريب هذا
الصفاء الذى يخترق كل شيء ..

بعد ساعة من المراقبة غمغم هو يغمض عينيه

« الان اعرف أن الاسطورة حقيقية هتان العيان هما
عينا (راسبوتين) لا لرى للموضوع على أى ضوء اخر »

ثم ماذا ؟

إن هذا الاكتشاف لم يفقده حيته .. لم يكفئه مالا فقط جعله
أكثر نجاحاً وتأثيراً .. فقط جعل للناس يعاملونه على أن
لحلامه لوامر . على قدر علمه لم تسبب التجربة أى ضرر .

إنها الثامنة مساء ..

عليه أن يبدل ثيابه لأن لديه موعداً مع خطيبته .. بحسب
أن أقول هنا إن الفتيات صرن ينظرن له بمزيج من الخوف
والانبهار فى كل مكان إنها تلك النظرة الثاقبة التى
تخبرهن أنهم بلا دفاع وخطيبته (تغريد) لم تكن
استثناء ..

هكذا وقف أمام المرأة يصلح من ربطة عنقه . به وسيم
على الأكل هو يعتقد هذا . لو تناسى متاعبه الأخرى فهو شاب
ناجح فى الثلاثين من عمره وما زال العمر أمامه و

إنها التاسعة والنصف !

نظر فى هلع إلى الساعة المعلقة على الجدار خلفه
هذا صحيح ' ساعة ونصف مرت وهو أمام المرأة يصلح
ربطة عنقه

الخطر أنه مشعث مغبر وأن هناك بقعة دم على
كتف القميص !!

متى حدث هذا؟ كيف؟

من الواضح أن (تغريد) انتظرت طويلاً ثم رحلت
ولكن هذه ليست المشكلة الآن ..

ماذا حدث وما الذى فعله فى ساعة ونصف ظل يرمى
فيها نفسه فى المراة؟ من أين جاء الدم؟

فى كل لحظة كان يرك الحديقة لمحيفة أكثر لقد
صارت عيناه صده . إنها تتلاعب به !

ما حدث هو أنه نوم نفسه مغاطيسيا وهو أمام للمرأة "

من هذه اللحظة صارت عيناه غريبتين عليه .. إنها
عدوان خطران ..

صار يقضى أغلب اليوم حتى فى الظلام واضفا النظارة
السوداء على عينيه ما الذى فعله فى تلك الساعة
والنصف؟ ومن أين جاء الدم؟

هذا ما لم يعرفه قط ولم يحاول معرفته . لقد غاب عن
العالم ساعة ونصف ساعة صار فيها مشعثاً مغبراً ببقعة دم
على قميصه . إن النتائج واضحة لكن التفاصيل لا تهم .

لقد صار غريباً مخيفاً . الناس يهابونه وهو يهاب
نفسه . والسبب .

هاتان العينان اللعينتان . اللتان حملتا كل شرور
صاحبهما ..

إنه يملك قوة هائلة لكن ما نفعا لو استدارت هذه القوة
نحوه هو نفسه؟ إنها نوع من الأسلحة الفسدة فى حرب
١٩٤٨ التى كانت تنفجر فى صدور أصحابها بدلاً من صدور
الصهاينة .

جلس إلى مكتبه وأمسك بالقلم وكتب فى حسم جملة
واحدة :

« هاتان العينان .. يجب أن تزولا للأبد .. »

اتجه إلى الخزنة حيث احتفظ بالوعاء الزجاجى ..

فى حسم جملة إلى الحمام ..

أزال الغطاء الذى أغلقوا به الوعاء يوماً ما منذ خمسين

عاماً .. ومن الوعاء تصاعدت أبخرة زيت الفنطرة الكريهة
الحارقة نظر إلى المرحاض وأخذ نفساً عميقاً .

سيقوم الآن بعمل كان يجب أن يقوم به منذ أشهر إنه
سهل لكنه كان صعباً أمس فقط ..

نظر إلى المرأة المعنقة فوق الحوض فرأى وجهه
الصارم ينظر له في حدة هل هذا وجهه فعلاً " بشيء من
الخيال يمكنه أن يقول إن هذا وجه (راسبوتين) ذاته .

إنه .

لقد اقتنصته العين !

إنه يرى (الكرملين) والشج يتساقط من حوله . هناك عربة
تحرر الخيول أميرة روسية تعض عينيها في افتتاح .
حفلات راقصة صاخبة الصبب بثيابهم الأنيقة المزركشة
يرفعون سيوفهم في رشاقة وجوه تضحك وجوه تبكي
خيول دباب بيضاء فلاحون يرقصون (الكازاتشوك) .
رجل مدثر بانفراء يمشى بصعوبة وسط العواصف طفل
يدرف من أنفه طنقات رصاص خيول (القوزاق)
تنقض من أعلى القلل ..

لا داعي لتدمير عيني (راسبوتين) إنهما أثر ثمين ..
إنهما الشاهدتان على تاريخ بأكمله هناك عيان موزيتان
يمكن تدميرهما ولن تسببا خسارة لأحد ...

لا يعرف متى ترك الإساءة سليماً بما فيه متى ذهب إلى
المطبخ متى انتفى سكيناً حاداً مذبياً

متى عاد ليقف أمام مرآة الحمام ..

متى ..

إن ماسة (اوديب Odipus) قد تتكرر بذات التفصيل
في زمننا هذا ..

قال (ملزن) :

- « هكذا فقد (عادل) عيبه .. وقد عرفت منه القصة فيما بعد ، واحتفظت بهاتين العينين كأثر ثمين لا يجب أن تبده ، برغم أنه توسل إلى ألا أفعل . اعتقد أن اللعبة قد تركته الآن لكنها دمرتة إلى الأبد . والآن أسألك عن رأيك في هذه القصة ؟ »

فكرت قليلاً . إن هذه القصة بالذات تحمل الكثير من الجو المقبض الكريه ..

قلت في كياسة :

- لست متأكداً . لكن هل حاولت أن تطيل النظر في هاتين العينين أنت نفسك ؟ »

ابتسم ابتسامته الغامضة أياها وقال :

- « كثيراً جداً اربما عدة ساعات .. »

- « نظراتك لم ترند حدة أو إقناعاً .. »

- « لم ترند حدة لكن كل شيء في أعماقي تغير إلى كل



(سليم) قد عاد

حزء من هذا المتحف الاسود قد ترك علامة دائمة فى داتى وأعتقد أن نفسيتى تشبه هذه الواجهات داتها ..

وقبل أن أعلقى قال :

« للقصة الثانية ساريك الواحدة للحصنة بها فيما بعد فقط أقول الآن إنها تحكى عن رعب (بن ما فعلته لن يمر لابد من انتقام مخيف) .. »

قال (مازن) :

فى الواحدة بعد منتصف الليل على الطريق الزراعى قرب (بنها) . هناك تلك الشاحنات المندفعة بأقصى سرعة ، وسائقها الذى لم ينم منذ وقت طويل (إن (التباغ) يعقو جواره منذ زمن ، وصوت المدباج الذى يبعث بصوت (فيزة احمد) لا يساعد على الاستيقظ

فى الواحدة بعد منتصف الليل والمطر قد بدأ يهطل والطريق زلق كظهر ضفدع والسائق يشعل لفشة تبغ أخرى متطهراً بأن الدخان يساعد على البقاء متيقظاً لكنه يعرف أن هذه أكلوبة ..

هنا نلقى اللحظة الدرامية المتوقعة هه من يمر بطريق

يا للكارثة ! يضغط على آله التبييه يحرك الضوء مترافصاً لو ضغطت الفرملة الآن لانقلب فوراً كلا .. لا يستطيع .. فقط يأمل أن يتوقف هذا العابر أو يتراجع للوراء ..

أو يصرع ..

لكن العابر يواصل طريقه فى تودة كأنما لديه كل الوقت

ورأى السائق شيئاً يختفى تحت مقدمة الشاحنة . ثم لاشىء ..

فه يستطيع التوقف بعد خمسمئة متر ، لكن ما جدواه ؟ هو يعرف أن هذا العابر العيث قد انتهى أمره .. وهو لم يكن ممن يملكون الشجاعة الأدبية الكافية على الأقل هو لم يرتكب خطأ .. القتل هو من فعل ..

وهكذا واصل طريقه وكل عضلة فى جسده ترتجف

هناك من وجد الضحية وحملها إلى المستشفى .

كس الدكتور (ممدوح) طبيب الامتياز الشاب يحاول أن

يبقى ساهرا باحتساء كوب شاي أعدته المعرضة . لكنه
كان يتوقف للحظات وكوب الشاي في الهواء يغيب عن
العالم ثم يفيق فيشرب حرة أخرى . إن البرد مع تأثير
الدواء داخل المستشفى لهما يجعل النعاس قوة لا تقهر

فقط سمع صوت سيارة الإسعاف الكئيب وهي تقف .
كان يحفظ هذه الأصوات جيدا . صوت الباب المتزلق في
ظلالها يفتح صوت فرد المحفة صوت العجلات وهي
تحرى على الأرض . كان لهذا تأثير أقوى بمراحل من أى
متبه بأخذه بالفم أو بالحقن ..

ثم على اسمه وصعد معصفاً وركض نى الخارج
ليرى المصيبة القادمة ..

بالفعل كانت مصيبة . هناك رجل أشيب فى الخمسين
من عمره ، يرقد على المحفة وهو متدثر بخرق لا تدرى
كيفية التصبب لكنها ملوثة بالطين وادم وممتلئة . وبدأ من
شحوبه انه لم يعد يوسع (ابن سين) نفسه أن يساعد
لو كان ساهرا فى الاستقبال العام فى هذه اللحظة

بقدمين ترتجفن حرى الطبيب الشاب محدود الخبرة ،
وطنب من المعرصة التى كانت شبه نائمة بدورها أن تلف
جهاز الضغط حول ذراع المصاب .. ودس طرفى المسماع
فى اذنه لاشيء يحدث . لا يوجد صوت على الإطلاق .
حرب مرتين فلم يسمع شيئا ..

ألقى المسماع بصدر الضحية فلم يسمع شيئا راح
يفرك صدره .. لاشيء ..

لاداعى لإيقاظ الطبيب المقيم إذن . إن يومه عصبيا
ينتظره غدا ، ولسوف تنهمر عليه الصواعق لو أبغضه من
أجل رجل ميت فعلا ..

هكذا مط شفتيه علامة العحر ، وطر إلى المسعف بطرة
تقول كل شيء ..

ومن دون كلمات جاءت بمصرعة بهيمة ..
وحدة التموشى ، على حين حبه ، المسعف الذى يهافت بسبب
حبة ما . كان الدكتور (ممدوح) يشعر لأن أنه حارس
مرمى لم يحتسب ، لكن - على لائن - ثم تهتز شياكه ثم
يتسبب فى موت المريض . هذا يعوضه بعض شيء عن
وفاته ..

وبعد مرتحة كتب الديباجة التى حفظها عن ظهر قلب
يبلغ السويش وينقل المتوفى الى المشرحة بعد ساعتين

بعد قليل جاء ذلك المريض المعنف العربص الذى
أصابه مقص كنوى فى الثالثة صباحا . انه قادم مع خمسة
من أهله وهو لا يكف عن العواء بعض العواء معتل

لا شك في ذلك ، يبرر به المريض إزعاج كل هؤلاء في ساعة كهذه وتحت هذه الأمطار ..

' هكذا اتهمك د. (ممدوح) في عمل يعرفه ويحيده وينجح فيه . ووقفت معه الممرضتان الموحودتان تعيانه . الكثير من الصخب والصراخ والضوضاء . لا بد أن الأمر استغرق نصف ساعة ..

ثم عاد الهدوء الى المكان ..

وعاد د. (ممدوح) يشرب آخر جرعة من الشاي الذي تحول الى ماء بارد سكري أسود ..

هنا سمع للممرضة تشهق ..

- « د. (ممدوح) .. »

- « هممم .. »

- « د. (ممدوح) .. »

صاح بلهجة متنمرة وقد نفذ صبره :

- « ماذا عندك ؟ »

- « المتوفى الذى كان على المحفة . لقد احتفى ' »

روايات مصرية للجيب .. ما وراء الطبيعة ١٦٧

نهض (ممدوح) مذهولاً لا يفهم ما يحدث .. ركض إلى الردهة الجانبية حيث كانت المحفة حقاً لا يوجد أحد .. لكن أين وكيف ولماذا ؟

لا يوجد إلا احتمال واحد هو أنه لم يسمع جيداً . لقد كان الرجل حياً لكنه فقد الوعي . لا بد أن الارتباك جعله عاجزاً عن قياس ضغط الدم وسماع القلب هذا هو التفسير الوحيد ..

وشعر بالدم يحتشد في وجهه ماذا يقول لشرطة حين تصل بعد قليل ؟ ماذا يقول للطبيب المقيم حين يصحو ؟

ليته يستطيع أن يكذب عليهم ليته يستطيع أن يقول إن القتل قد نهض واتصرف لحال سبيله

لكنه لم يدرك أن هذه هي الحقيقة . بالضبط هي الحقيقة ..

قبيلتها كما يقبل المرء كل شيء آخر هي حياته وكانت تدرك أن فرصها في الاعتراض محدودة لأنها لم تنجب . وهناك ألف شخص ينصحون رحيلها وأرواح كي يحفظ على اسم الأسرة (وكانت أسرة محمد علي) لكنه قووم حتى هذا الشهر بالذات ..

الحقيقة التي لا يعرفها القراء هي أنها قسنته

هي لا تعتقد أن هذا يجعلها زوجة غير صالحة فهي تشعر بأنها تفقده برغم كل شيء ..

لقد جاء أخوها عصراً ولم يكن في الدار غيرهما دارها بعيدة عن باقي القرية معزلة من الطرار الذي يقطن فيه القليل فلا يعرف أحد) . وكان هذا هو المعطوب بالضبط . جلس الرجلان يشربان شاي على سطح البنية . بعد قليل بإشارة سريعة من عينيها قامت وحوها بقسنة بن صفحات الحوادث تعج بالتقصص الرهيبة الممتلئة . فلاداعي توصف بالتفصيل فقط بقول إنها واحداً قسلاً لأنه كان ينوي أن يتزوج امرأة أخرى . إنها لم تنجب ، وكس الميراث الذي سيضيع من العوامل المهمة التي جعلها لا تفكر مرتين .. لم تكن من النسوة البلهويات اللاتي يقطن بسبب العيرة . ولكن لأسباب مادية ملموسة يمكن تحويلها إلى أرقام

قال (مارن) :

في اثناية صباحا وبعد رحيل آخر المواسين دخلت (محاسن) الغرفة الأخرى في الدار فلم يكن ممكناً أن تنام في ذات غرفة الزوجية بعد كل ما حدث .. كانت مرهقة . لكنها قدرت أن الأرق نديمها هذه الليلة ..

شرط لأحد بنواي أمم عينيها فلا تملك أن تتعده (سيم) زوجها . صحيح أنه لم يكن أفضل زوج في العالم صحيح أنه لم يكن بذلك النطف لم يكن بذلك الكرم لم يكن بهذه لارحية . لكنه زوجها ، والمرء لو اعتاد أن سام حوار ثمين (سوا) لمدة عشرين عاماً فلا بد أن يفقد هذا الثعبان إذا مات ..

تزوج منذ عشرين عاماً وأقام في هذه القرية كان يحب حياة بقرية ويرفض الحياة في (بنها) أو الابتعاد عن اقربيه . وقد انتهى هذا البيت منذ خمسة وعشرين عاماً . وسرع ما سرحت حياتهما مزيج خاصاً فريداً من حياة بقرية وحيد بمدينة . لم تحب هذه الحياة أصلاً لكنها

كانت فترة غروب الشمس حافلة بالأحداث ، حيث تعاونت مع أخيها في حمل الجثة قرب الدار .. تحت شجرة التين العجوز . لم تفضل إلقاءها في (الرياح) لأن هذه الطريقة تفتضح دائماً .. إنها ليست بلهاء ..

لكنها على الأقل احترمت الجثة فتركت أحاسها ليستكمل الدفن ، وعادت إلى دارها ..

الآن قد أراثت آثار كل ما حدث داخل البيت

عندها فقط راحت تجوب القرية بحثاً عن زوجها . طرقت كل دار وأطلقت الكثير من الصراح الهستيري ليس من دأبه ان يتأخر إلى هذه الساعة ، لابد أن مكروهاً أصابه .

وتدخل خوفها من افتضاح أمرها ، ليجعل من أدائها عملاً أكاديمياً يمكن تكريسه في معاهد المسرح العلمية .. لقد كانت خائفة فعلاً ، وقد نحتت في استخدام هذا الخوف في أدائها ، كما يفعل أي محترف تدرب في (ستوديو الممثل) في (هوليوود) ..

وبالتالي بدأت ليلة عصبية كريهة كانت عليها واجبات اجتماعية هائلة من العويل ولطم الخدين إلخ .. كل هذا باعتبار ما سيكون . لكن أحداً لم يعرف كم هي صادقة .

وعندما توغل الليل انصرف الجميع مع كلمة عن (النهار الذي له عينان) و (غداً يأتي للفرج) ..

للخلاصة أنها الآن مرهقة تماماً ..

ترغب في النوم . تشتتته . وقد ساعدها هذا على نسيان خوفها .. أضف لهذا أنها كانت امرأة شديدة المراس أقوى أعصاباً من أي رجل عرفته المرأة التي تحاف من النوم في بيت قُلت فيه زوجها هي امرأة مدللة مائعة هذا رأيها ..

ترقد في الفراش تتأمل الجدار المطلى بالجير ، والذي أحلقته إلى شاشة ذكريات ..

لكنها تسمع من يدخل الغرفة تسمع صوت خطوات .

توقف تنفسها . إنها وحيدة تماماً في هذه البناية .

ما مضى هذا ؟

رفعت رأسها وفي الظلام استطاعت أن ترى تلك الشخص الذي يدخل غرفة النوم .. من هذا القادم ؟ فتحت فمها لتصرخ لكن الصرخة احتبست في حلقها ..

إنه هو .. هو بالذات ..

كان يلبس ذات الثياب وإن صارت حالتها رثة . ممزقة متسخة بمزيج من الدم والأوحال مبتلة تماماً .. وكان يتصرف بطريقة عادية تماماً كأن شيئاً لم يكن .

« مساء الخير يا (محاسن) .. »

فبها بصوته الذى تعرفه جيدا ، ثم أرفف وهو ينزع
الثياب عن نصفه العلوى :

« هاتى لى حنسا .. إن هذه الثياب مبتلة تماما .. »

هو فقط خرجت تصرحة من فمها عميقة حادة رفيعة
تصم الأذان ..

كان اليوم انتالى أسود يوم فى حياتها كما يحق لنا أن
نوقع

لقد كس عليها أن تصمت وأن تمارس حياتها بشكل
طبعى . الجيران والحارات يتولون ليهنوها على عودة
الزهر . ويسألن ترى أين كان .. بينما هو يحتمل فى وسط
لدار صامت كئيبا لا يفصح فمه ولا يقول شيئا . نظرة ذاهنة
كمن نوم مغناطيسيا ..

بعد ثقت وعيها مدى روبيته فى المساء . حسبه شيئا
وهو التفسير المريح . وهو لم يمت وجاء للاستقام لكن
أنا لم أكن ... لم أكن ... لم أكن ... لم أكن ...

جلدانا ما ورقد فى الفراش ليواصل النوم كأن ما مر به كان
يوما معتادا ..

ظلت هى خارج الغرفة ترحف . ونقد فكرت أكثر من
مرة فى أن تحضر الفأس لتكمل ما بدأتها . أو تتخلص من
حياتها . أو تهيم على وجهها صارخة فى أزقة القرية

لكنها عدلت عن هذه الحنول جميعا . كذب غير عملية .
وسوف تلفت إليها الأنظر . ولسوف يعرف الناس
ما كان .. هكذا ظلت ما بقى من الليل وحدها خارج الدار .
ترمق صوت الكلاب البعيد وتصغى لنظلم وتشم البرد .
نعم . لا يوجد خطأ هنا . لقد اختلطت حواسها بالفعل .

كانت موقنة من أنها وأخوها قتلاه فأحسننا انقتلة
لا توجد أخطاء . ضربتان محكمتان على رأسه ، ثم
الحنق . هل كان يجب إزالة رأسه تماما ؟ دفيه بغذية
فكيف ومتى استعاد وعيه وغادر القبر ؟

هكذا كان العذاب الأول هو أن تبقى وهذا الشيء فى دارها .
والعذاب الثانى . والأشنع . أنها لن تظهر أبدا . أية علامة
هنع أو ذعر . ليس أمام الناس .. ليس أحب إليها من أن
تصرخ قائلة : لكنه ميت . أنا متأكدة من هذا ؟ أنا قسسته ..

لكن هذه الأشياء لا تنقل طبعاً هي لا تمك هذا الترف .

هي الآن في الدار . الحيران يأتون ليطمئنون . لا تجرو
على النظر إليه لا تجرو على السطر إليهم

أحد الرجال يقول :

« إنه لا يتكلم لماذا لا تطلبون له الطبيب ؟ »

ويقترح آخر أن الحل الأمثل هو عصير القصب . كان له
عم أصيب بشيء كهذا فابتاع له عصير قصب ولكن من
أين عصير القصب في قرية كهذه لا توجد فيها معصرة ؟ هكذا
يتطوع أحدهم ويحمل (شفشق) من البلاستيك ويتجه إلى (بنها)
لإحضار بعضه ، وقد رسم على وجهه علامات الخطورة كونه
ذاهب للبحث عن (يورقيوم ٢٣٥) من أجل مفاعل نووي «

لكم وددت لو تتخلص منهم ' وفي الآن ذاته لم تتمن
لحظة أن يرحلوا لتواجه هذا الشيء وحدها

هي لا تعرف شيئاً اسمه (الرومبي) طيف ، فلو كانت
تعرفه لكان أدق وصف هو (ثمة رومبي في داري)

وكان أول ما خطر لها هو أن تهرع إلى المكان الذي
دفناه فيه ..

يحب أن تتأكد من آثار الحفر هل هناك من أخرجه أم
هو من أخرج نفسه ..

هكذا تأكدت من أن الجميع انصرف ، ثم خرجت من الدار
جلرية حفية القدمين تقصد تلك البقعة التي تعرفها جيداً ، والتي
حفرتها مع أخيها أمس ..

لون الغروب الأزرق يغلف المكان . في هذا الوقت
بالتضبط كانت منهمكة مع أخيها في حمل القليل .. واليوم ؟

إن الحفرة موجودة .. هل كانت بهذا الاتساع من قبل ؟

من الواضح أن هناك من أزال عنها طبقة التراب الكثيفة
التي كانت تغطيها . لكن الأمر يبدو وكأن إزالة الغبار تمت
من الداخل ..

هذا هو ما توقعته لقد كان حياً عندما دفناه ، وقد راح ينبش
حتى أخرج نفسه . لكن هذه الأمور يمكن تصحيحها .. لسوف تعود
إلى أخيها وتخبره بكل شيء . وهذه الليلة ينتهيان من هذا كله .

هكذا فكرت في اشمزاز وهي تقف في ضوء الغروب
تأمل المشهد ..

لكن صبراً تكاد تقسم إنها ترى قدمين عاريتين في
هذه الحفرة ليست خالية بل إن هناك من يرقد فيها ،
وإن لم يتم دفنه بعناية .. ولكن ..

هناك جسدان متجاوران !

ما معنى هذا ؟

كنت من الحفرة أكثر ..

إن ضوء الغروب الأزرق الخافت يجعل الرؤية عسيرة
لهذا تنتظر أكثر حتى ترى ..

الآن تقبض على الغبار وتريله عن الوجه الأول وهي
ترتجف هذا الوجه . هذا الوجه . هذا الوجه .
كما توقعت بالضبط ..

هذا الراقد في الحفرة الآن ليس زوجها
إنه أخوها !

ملاح الرعب على وجهه نقول إنها لم تكن ميتة سهلة
على الإطلاق ..

راحت تشهق محاولة أن تمنع الصرخة من أن تغادر
فمها يحب أن تتعاسك يحب يجب أن تفهم .

هنا سمعت من يتحنن من خلفها :

- « إن الحفرة تكفى ثلاثة ب (محاسن) » -

عرفت اصوت نظرت للوراء فوجدت زوجها يقف
هناك تحت الشجرة العتيقة

وكن يتسم للمرة الأولى منذ عصر أمس تراه يتسم

زنزانة خريولسن

- « ثمة تفصيل آخر لا يعرفه سواي .. لقد قطع الأخ الرأس بعد رحيل أخته .. كان هذا على سبيل الانتقام !! »
هززت رأسي غير مصدق يصعب أن أتخيل الزوج بعد تثبيت رأسه على كتفيه ثم يغامر القبر ليقتل الأخ ، ثم يعود لداره ..

قال (مازن) ضاحكاً كعادته :

- « كلا لا يؤمن بصحوة الموتى من دون قيامة ، لكني لا أعقد لك ترفض فكرة الأشباح التي عادت لتنتقم . الأشباح التي اكتسبت وجوداً مادياً من الإكتوبلازم يجعلها لا تبدو كذلك . لقد قتل (سليم) أو شبحه الأخ ودفنه ، ومشى متحها لداره شارد الذهن لا يعرف أين هو . لم يصدق لحظة أنه شبح حتى دهمته تلك السيارة الحقيقة أنها لم تفعل شيئاً بذكر وفي المستشفى لم يعرف الطبيب أنه يفحص قشرة من الإكتوبلازم ثم فر الزوج وقد بدأ يستعيد توازنه كان يريد الخلاص من زوجته ، لكن - الأهم - كان يريد أن يثير دعرها . لقد عاشت عذاباً لم يرد في الأساطير الإغريقية في يومها الأخير .. »

قلت له في ضيق :

- « اسمح لي أنت تبني افتراضات لكن لا يمكن

- ٩ -

نظرت إلى ساعتي من العسير أن تعرف في هذه الحجرة إن كنا في الليل أم النهار ، لكن ساعتي تقول إنها الثامنة صباح ليلة كمنة قضيتها في المتحف الأسود ومن الغريب أنني لست منها ..

قلت له (مازن) :

- « هذه القصة على كل حال يمكن تفسيرها . الزوج لم يمت لم يمت حياً لو أريت الثقة وقد لتصر على الإح وبغوه هو في الحفرة ، ثم عاد ليصلي الحساب مع زوجته . »

ابتسم ابتسامته الودود للشهيرة وقال :

- « هذا تفسير لا بأس به لكننا لم نفهم بعد كيف نحنا من ارتطامه بالشاحنة ولا كيف شخص الطبيب وفاته ، ثم لم يحده على المحفة ثم كيف نفهم معنى حديثه عن الحفرة التي تسمع ثلاثة .. »

في حدة قلت :

- « الموتى لا يعودون للحياة الا عندما تقوم الساعة

لاتبين اية افتراضات على أسس غير هذه »

البرهنة عليها أعقد أنها مجرد قصة قليل لم يكن كذلك . «

لم يعلق واتجه نحو الواجهة التالية ..

قال (مازن) :

- « النوع التالي من الرعب هو نوع شهير جداً ربما أقدم أنواع الرعب ألا وهو الرعب مما ينتظرنا خلف الباب المغلق

كن يقول هذه الكلمات وهو يقف جوار شظية صخرية هائلة الحجم يبدو كأنما انتزعت من جدار قديم .

قال (مازن) :

الباب الذي أتحدث عنه لم يكن فى مصر . لم يكن فى مكان تعرفه

الباب الذى أتحدث عنه لم يكن باب خشبياً أو حديدياً ، بل كان أقرب إلى جدار سميك يهدم ولا يفتح

لكن الناس هناك كانوا يسمونه باباً ..

كان هذا فى كهف قرب قرية فى (ويلز) .

كان الناس يمرون جوار الكهف ، ويتحدثون عن (خريولسن) الحبيب هناك . عن الساحرة التى أتجبتها .
والتي أعدمتهما محاكم التفتيش هناك . وكيف دفنوها فيما يعرف بزنزقة (خريولسن) ..

هنا قطعت فى دهشة :

- « لحظة (خريولسن) أنا كنت هناك ! »

نظر لى كأنما أنا أكذب وقال بشك :

- « أنت من دون غيرك ياكتور ؟ وفتحت الجدار ؟ »

- « نعم .. »

- « رأيت ما وراءه ؟ »

- « بالتأكيد كنت هذه تسع خيرة وجهتها فى كل حياتى .

أحمد الله على أننى سأموت فتموت هذه الذكرى معى »

عاد يسألنى فى شك :

- « رأيت كل شيء ؟ حتى الآن ؟ »

صحت فى عصبية :

- « لا تقل من فضلك . دعنا نصغ إلى باقي قصتك لنرى
إن كنت تختلف عن خبرتي .. »

عاد يقول :

- « عندما احترقت الساحرة أذرت الناس بأن ولدها
(خريولسن) سيهود بعد أعوام حين يفتح الزنزاة رجل
أجنبي . وما لم ينسه أحد هو أن المصائب لم تفارق القرية
لحظة طيلة عمرها العديد .. »

وبعد أعوام جاء مغامر إلى الكهف . كان هذا بريطانيًا
يدعى د (هنري لستر) ففتنته الأسطورة وصمم على أن
يحد رجلاً أجنبيًا يفتح تلكم الزنزاة

كانت فكرته أن يناول الضيف المطرقة ، ثم يطلب منه أن
يفتح الجدار بنفسه لأنه ضيفهم ..

طبعاً ما كان الضيف الأحمق ليعلم أنه أول دم أجنبي
يدخل الكهف منذ سبعة أحيال . حقاً لم أتصور أنك كنت
أنت هذا الضيف . إن معلوماتي تقول إن .. »

هنا قطع (مازن) كلامه لأن ..

الخاتمة

كان هناك صوت سيارة من الخارج ..

صوت المحرك الدائر ثم صوت التوقف . ثم صوت
الأبواب تفتح ..

قال لي (مازن) في عجلة وهو يخرج من المتحف .
- « إنهم جاءوا . تعال يا د . (رفعت) فهناك أشخاص
أرغب بحق في أن تقابلهم .. »

قلت له وأنا أرمي باقي الواجهات :

- « لكن . ألن نستكمل هذه الواجهات ؟ هناك .. »
ونظرت إلى نهاية القاعة . كان هناك رأس رأس
أدمى محنط موضوع فوق عمود كأنه نصب تذكاري ..
ولسبب ما بدا لي مألوفاً إلى حد ما ..

عدت ألحف عليه :

- « وهذه الواجهة . إن هذا الرأس يبدو .. »

قال وهو يقتادني إلى الخارج ويدير المكتبة ليفقها :

- « فيما بعد فيما بعد . سنكمل للمشاهدة بمجرد أن نقابل هؤلاء السادة . »

- « من هم ؟ »

نظر لى نظرة ذات معنى ، وغغم وعيناه متسعان فى خطوة :

- « فقط حاول أن تبدو طبيعياً سأحبرك بحقيقتهم فيما بعد .. والآن انزل .. »

متريداً نزلت فى الدرج الخشبي ، وأنا أتساءل عن كنه هؤلاء القوم ما معنى أن (لهم حقيقة ما) ؟ ما القصة التى يحملها هؤلاء ؟ فى الغالب هذه هى لحظة الحقيقة لقد انتهت سهرتى مع هذا الشيء نظرت للسوراء فلم أر (مازن) يتبعنى طبعاً ..

انفتح الباب وسمعت صوت طفلة تصيح ثم رأيت فى الصوء القادم من الخارج رجلاً وامرأة شبة وحقائب ثم لمحت الطفعة ذاتها وكانت تتواكب فى مرح كان ظنهم يمتد على الأرض مستطيلاً غامضاً كأنما جاءوا من كوكب آخر ..

لكن الدهشة لم تطل . فقد أدركت أنهم طبيعيون جداً ، وبدأت أفهم القصة ..

كنت الآن قد وصلت إلى حقيقة مفروغ منها : هذا الرجل ليس رجلاً .. سوف تشرق الشمس لأجد أنه لا وجود له .. لقد عشت هذا الموقف مراراً .. لكننى على الأقل أعرف أن قصصه حقيقية .. ثم كيف أتأكد من نظريتى هذه ؟ لا سبيل إلا أن أنتظر ..

الآن أرى الرعب فى عيني الرجل والمرأة والطفلة ذاتها كأنما رأيت شيئاً ..

هتف الرجل :

- « من أنت ؟ »

ابتلعت ريقى وقلت فى كياسة :

- « أنا ضيف السيد (مازن) هل لى أن أسأل نفس

السؤال ؟ »

صاح الرجل وهو يمسك بيد زوجته متوتراً متأهب

للاطلاع كالسهم نحوى :

- « (مازن) ؟ (مازن) من ؟ »

الآن بدأت أجد شيئاً مألوفاً في المشهد .. أكره أن أكون على صواب في كل مرة .. لكن التفسير سيكون عسيراً بعض الشيء ، فأنا الآن متصل بلا إذن إلى دار هؤلاء القوم .. وكان من أنقذني هو الزوجة التي قالت وهي تربت على كتفه :

- « إنه منهم يا (محمود) .. منهم .. لقد تكرر الأمر .. »

كور الرجل قبضته كأنما هو يمثل أحد أفلام (جون واين) ، الأحمق .. أنا لا أبدو تهديداً لبعوضة ..

قلت له :

- « أتمنى أن تهدأ قليلاً .. تبدو لي عصبياً لا يساعدك شيء في الوجود إلا أن تهشم وجهي .. »
- « هو كذلك فعلاً .. »

قلت وأنا أجلس على أريكة هناك :

- « واضح أن هذا الموقف تكرر معك مراراً .. يحدث كلما سافرت في رحلة طويلة . أليس كذلك ؟ بلى ؟ وليس هناك من يدعي (مازن) هناك ؟ »

قالت الفتاة التي كانت أقرب إلى التعقل والهدوء :

- « (مازن أبو سيف) هو زوجي يا سيدي .. لكننا في كل مرة نجد من يتحدث عن (مازن) الذي دعاه للبيت ، وأراه مجموعته من تذكارات الرعب .. »

- « والمتحف ؟ لا وجود له ؟ »

- « بالفعل لا وجود له .. يقولون إنه موجود في غرفة لمكتب .. خلف مكتبة جدارية عملاقة .. الحقيقة أنه لا يوجد أي تجويف خلفها .. لقد أرحناها وفحصنا المكان بعناية .. »

قلت وأنا أنهض وأداعب شعر الطفلة المذعورة :

- « هناك متحف أسود .. بالفعل هناك واحد ، فأنا لم أكن فريسة هلاوس بصرية بهذا التعقيد .. لكن ما يقودنا إليه ثغرة ما .. ثغرة في عالم الواقع .. هي هناك وراء المكتبة لا يفتحها إلا مضيفي نفسه .. ويبدو أنه لا يكف عن استعراض مجموعات كأي هاوي جمع تحف في عالمنا .. حتى الأشباح تملك نقاط ضعف مثل البشر .. »

وهنا فقط استعدت ذكرى الرأس المقطوع الذي كان آخر ما رأيته في المتحف ..

كان هو رأس (مازن) نفسه .. أعنى رأس من ادعى أنه (مازن) .. لقد تعجلني فلم أستغرق الوقت الكافي كي أحفر الانطباع في ذهني ..

لقد ضم رأسه إلى مجموعته بكل رضا وسرور .. ولا شك أن المتحف يضم قطعاً أخرى منه حين كان حياً ..

هو قال إنه جرب كل شيء في المتحف .. لو كنت قصصه صحيحة فما من بشري يمكن أن يمر بهذه الخبرات جميعاً .. إما أنه لم يعد بشرياً أو لم يكن كذلك منذ البداية ..

ثمة افتراض أكثر جرأة : لماذا لم أر الواجهة الخامسة ؟ هل الواجهة الخامسة هي تلك التي تحوى رأسه ؟ هل كان هو (سليم) نفسه ؟ لقد استبقى هذه الواجهة للنهاية باعتبارها سره الأخير .. والحقيقة أنني حين استعبد قصته أتساءل : كيف عرف كل هذه التفاصيل ؟ لقد هلك (سليم) وهلك الأخ وهلكت الزوجة .. فكيف عرف هذا كله ؟ في كل القصص السابقة كان هناك من يحكى القصة كاملة : المخرج .. الزوجة .. الصبي الذي قتله الفطر .. الطبيب الذي قتل عينيه .. في هذه القصة بالذات بدا لي (مازن) كأنه هو الراوى كلى المعرفة Omniscient الذي يعرف كل شيء ويتواجد في كل مكان .. يمكن أن يقص هذه القصة لو لعب دور (الشخص الثالث المحدود) .. أى لو كان هو (سليم) ذاته ..

قلت للزوج الذى بدأ بهذا قليلاً :

« هل كنت فكرة عما يحدث ؟ »

« لا .. لقد طلبت رأى الكثيرين لكن أحداً لا يعرف .. تكرر هذا السيناريو ثلاث مرات وأنت الرابع .. من الواضح أن هناك شيئاً يتسلى هنا .. يجلب عابري السبيل ويقتنعهم أنه صاحب المكان .. يدخل السيجار الخاص بى ويقدم لهم الشاي والشطائر من مطبخى .. يحكى لهم قصصاً حتى يأتى الصباح .. هو لا يفعل هذا إلا حين نسافر لفترة .. وتتم القصة ليلة عودتنا .. ذات مرة راقب رجال الشرطة البيت فى أثناء سفرى ، لكن - كما هي العادة فى تلك الأمور - لم يحدث شيء .. وقد افترضوا أنني مخبول لا أكثر .. أعنفد أنني سأبيع هذا المكان .. فلم أعد أتحمل .. »

وقلت أفكر حيناً .. ثم سألته :

« أنا تحت تصرفك .. لو أردت أن تستدعى الشرطة لاتهامى بالتسلل إلى دارك فهذا حق .. »

قال بشمزاز وهو يسترخى على أريكة ويفك ربطة عنقه :

« لا شيء من هذا .. لقد فعلت هذا مرتين من قبل بلا جدوى .. اتصرف من فضلك ولا تعد هنا أبداً .. »

اتجهت إلى الباب شاعراً بالامتنان .. فلا أريد أن أقتضى بقية اليوم فى تفسير موقفى .. أدرك المقبض ووقفت أرمق الحديقة التى غمرتها الشمس وقلت :

« والكلب ؟ »

- « كلهم يقول هذا .. لا يوجد كلب يا سيدى .. أنا أكره الكلاب .. »

وراح ينظر إلى السقف كمن اتهارت كل آماله ..

هكذا أغلقت الباب ومشيت شارداً ذهن .. مبليد الفكر .. غير قادر على موازنة خطواتي بعد ليلة طويلة منهكة من سماع القصص الغريبة .. أمر بحوض زهار (الدالكونيا) مودعاً ..

وفى سرى تمنيت لو أن هذه الأسرة للطيفة تأخرت قليلاً .. كانت الواجبات عديدة ، ولكم انتهيت لو سمعت بساقى القصص .. مثلاً ما هو ذلك الكلب الأحمر ؟ ما سر اليد المبتورة ؟ ماذا عن الهيكل العظمى ذى الأنياب ؟

لكنى كنت أعرف أنني سأقابل (مازن) يوماً ما لتستكمل مشاهدة المتحف الأسود .. نعم .. بالنسبة لى كان ذلك الذى أمضيت معه لمسيرتى هو (مازن) الأول - الحقيقى .. والأكثر تسلية ..

إنه يعرف عنواتى .. ويعرف كيف يكتب خطاباً .. وكيف يرسله ..

لسوف يجدنى ..

عندها أريد أن أسأله أسئلة كثيرة .. أولها : من هو فعلاً ؟ هل استنتاجى صحيح بصده ؟

إن قصته - بالتأكيد - لجديرة بأن تكون من قصص حلقة الرعب القادمة ..

كانت هذه حلقة الرعب السادسة ..

المزيد من (اليورتامنتو) .. لكن حتى (البورتامنتو) - برغم اسمه المرعب - ينتهى كل شيء آخر ..

والشيء كان ينتظرنى .. إنها قصة مقرزة تحكى عن شيء ما .. هذا هو ما يمكن قوله عن الموضوع .. و ...

لكن هذه قصة أخرى .

و. رفعت إسماعيل

القاهرة

ما وراء الطبيعة

روايات تعجيب الانفس
من فرط الخوف والرعب والاذابة

روايات مصرجة الجيب

المتحف الأسود

إنه المتحف الأسود ..

لا تقفوا على الباب مترددين

وجلين .. لا تؤخروا سافاً وتقدموا سافاً ..

لا ألوم كثيراً من يفعل : فليس المكان مما يناسب
الأطفال ولا الأنسات ولا الفتيان ولا .. ولا أي بشري

في الواقع غير العجوز (رفعت إسماعيل) ..

لكنكم ستدخلون على كل حال ، وسوف ترون

ما راه .. لهذا أتمنى لكم ليلة طيبة .. !



د. أحمد خالد توفيق

مطابع
الكتاب العربي

مؤسسة العربية الحديثة

التمن في مصر ٢٠٠
ومابعده بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
أسطورة الشىء